أثر أبي جعفر النحاس في ثلاثة من المفسرين: دراسة لغوية

د. محمد بن نافع المضياني العنزي
قسم تأهيل معلمي اللغة العربية
معهد تعليم اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

عني هذا البحث بدراسة أثر أبي جعفر النحاس في ثلاثة من أئمة التفسير، هم: ابن عطية الأندلسي، وأبو عبد الله أحمد بن محمد القرطبي، وأبو حيان الأندلسي، حيث تم استخلاص بعض الأقوال والآراء التي اقتبسها هؤلاء الأئمة الثلاثة عن أبي جعفر النحاس، وتم تصنيفها في عدد من المجالات، ثم دراستها دراسة لغوية وفق المنهج الوصفي القائم على التحليل.

وقد بينت الدراسة أن أثر أبي جعفر النحاس على ابن عطية في "المحرر الوجيز" يعد محدوداً إذا ما قيس بأثره على القرطبي. وقد ظهر هذا الأثر في بيان معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم، وإيراد بعض القراءات القرآنية، وما ورد فيها من تعليلات وآراء. ولم تكن آراء النحاس محل قبول عند ابن عطية، بل كان يستدرك عليه، ويرد بعض أقواله، ويقدم عليه الزجاج، وأبا علي الفارسي. كما بينت الدراسة أثر النحاس الواضح في تفسير الإمام القرطبي. وقد تمثل هذا الأثر في مجال المعاني، والقراءات القرآنية، وبعض مسائل النحو والتصريف، واللغات أو اللهجات العربية. وكان يعتمد عليه في توثيق بعض القراءات بلغات بعض القبائل العربية، كتميم، وقيس، وأسد، وربيعة، وكان يستند على هذه اللغات في تعليل القراءات وتوجيهها. وكذلك بينت الدراسة أثر أبي جعفر النحاس على أبي حيان في "البحر المحيط". وقد ظهر هذا الأثر في بيان معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم، وفي بعض القراءات القرآنية، وما ورد فيها من آراء، ومذاهب نحوية. ولم تكن آراء النحاس محل قبول دائماً عند أبي حيان، فقد رد بعضها وفندها. هذا وأسأل الله أن يجعل في هذا البحث ونتائجه النفع والفائدة.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته، ومن سار على هديه، واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيعد أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ من كبار علماء العربية في مصر في أواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع الهجري، وقد برع في عدد من العلوم، فكان من أغزر علماء عصره إنتاجاً في التفسير، والقراءات، والحديث الشريف، والناسخ والمنسوخ، والنحو، واللغة، والأدب. وقد أثنى عليه كثير من العلماء، يقول أبو بكر الزبيدي: "كان واسع العلم، غزير الرواية، كثير التأليف"(١). ويقول عنه ياقوت الحموي: "وأبو جعفر هذا صاحب الفضل الشائع، والعلم المتعارف الذائع، يستغني بشهرته عن الإطناب في صفته"(٢). ووصفه ابن العماد، فقال: "كان ينظر بابن الأنباري ونفطويه، وله تصانيف كثيرة"(٣).

ولأبي جعفر النحاس مؤلفات كثيرة، قيل إنها تزيد على خمسين مؤلفاً(٤)، لكن ما عرف اسمه منها لا يزيد على الثلاثين، وما وصلنا لا يتجاوز الثمانية. ومن

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، ط٢، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م)، ٢٢٠.

(٢) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، ط١، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م)، ١/٤٦٨.

(٣) شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ٣/٥١.

(٤) انظر: معجم الأدباء، ١/٤٦٩.

أشهرها كتاباً "معاني القرآن الكريم"، و"إعراب القرآن" اللذان يعدان موسوعتين علميتين احتوتا صنوفاً من المعرفة في اللغة، والتفسير، والقراءات، كما يعدان مصدرين أساسين لآراء كثير من اللغويين والنحويين الذين فقدت مؤلفاتهم، أو فقد بعضها، أمثال: الكسائي، والفراء، وقطرب، والمبرد، والزجاج، وعلي بن سليمان الأخفش، وابن كيسان، وغيرهم. وقد وصفهما القفطي، فقال: "هما كتابان جليلان أغنيا عمّا صُنِّف قبلهما في معناهما"[1]. وكان لهذين الكتابين أثر واضح فيما صنف بعدهما، ولا سيما في كتب التفسير، والقراءات، وهذا ما ظهر لي أثناء دراستي للكتابين في أطروحتي للدكتوراه التي عنوانها: "معاني القرآن الكريم وإعرابه لأبي جعفر النحاس- دراسة معجمية"[2]. حيث تبين لي أثرهما الواضح في كتب التفسير، وبخاصة في كتاب "الجامع لأحكام القرآن" لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الذي اعتمد اعتماداً كبيراً على كتابي النحاس، فنقل عنهما كثيراً مما جاء في بيان لغات القرآن الكريم ومعانيه، وما ورد فيهما من قراءات، كما نقل عن النحاس كثيراً من قضايا النحو والتصريف الواردة في الكتاب؛ ونظراً لضخامة المادة المقتبسة من كتابي النحاس رأيت أن أكتفي من دراستي تلك بإشارة مختصرة إلى أثر أبي جعفر النحاس في تفسير الإمام القرطبي[3]، على أن أخصص لهذه القضية بحثاً مستقلاً، أتناول فيه أثر أبي جعفر النحاس فيمن أتى بعده من المفسرين، ومن ضمنهم الإمام القرطبي، على ألا

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، ط١، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ١٣٦.

(٢) قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الدكتوراه في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٣) انظر: معاني القرآن الكريم وإعرابه لأبي جعفر النحاس – دراسة معجمية، لمحمد بن نافع العنزي (رسالة دكتوراه لم تنشر)، (مكة المكرمة: كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ٣٤ وما بعدها.

يكون ضمن هذه الدراسة تلك المسائل التي عرضت لها في دراستي السابقة عن الإمام القرطبي. ورأيت أن أقتصر في هذه الدراسة على أثر أبي جعفر النحاس في ثلاثة من أئمة التفسير، هم: ابن عطية في "المحرر الوجيز"، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"، وأبو حيان في "البحر المحيط".ويلحظ أن هؤلاء الثلاثة من الأندلس؛ لأن أباجعفر النحاس كان له فضل كبير في نشر ثقافة المشرق في بلاد المغرب والأندلس عن طريق تلامذته من الأندلسيين الذين نقلوا عنه العلم، وبخاصة علم العربية، فيقال: إن تلميذه محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي (ت٣٥٨هـ) حمل كتاب سيبويه إلى الأندلس رواية عن شيخه النحاس، كماحمل عنه تلميذه محمد بن مفرج المعافري كتبه التي ألفها في إعراب القرآن، وفي المعاني، وفي الناسخ والمنسوخ إلى الأندلس، فكان طلاب العلم هناك يأخذونها رواية عنه[1].

وقد جعلت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: أثر أبي جعفر النحاس على ابن عطية في "المحرر الوجيز"، ويتضمن ما يلي:

١- مجال المعاني.

٢- مجال القراءات.

٣- مجال الصرف.

المبحث الثاني: أثر أبي جعفر النحاس على القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"، ويتضمن ما يلي:

---

(١) انظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، ط٣، تحقيق: زهير غازي زاهد (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٩٨م)، ١/ ٢٤، ١٣٨؛ وشرح أبيات سيبويه، لأبي جعفر النحاس، ط١، تحقيق: زهير غازي زاهد (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ١٠- ١١

١- مجال المعاني.

٢- مجال القراءات.

٣- مجال الصرف والنحو.

٤- مجال اللغات (اللهجات).

المبحث الثالث: أثر أبي جعفر النحاس على أبي حيان في "البحر المحيط"، ويتضمن ما يلي:

١- مجال المعاني.

٢- مجال القراءات.

ثم تأتي خاتمة البحث لتبين أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

وأخيراً أسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ، ،

* * *

المبحث الأول: أثر أبي جعفر النحاس على ابن عطية في "المحرر الوجيز":

كتاب "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" من الكتب التي أثنى عليها كثير من العلماء؛ ذلك أن مؤلفه القاضي أبا محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المتوفى سنة ٥٤١هـ[(١)]، من العلماء الذين لهم معرفة واسعة بتفسير آيات الذكر الحكيم، وما تفيده من المعاني، مع تضلعه في علوم اللغة، والحديث، والفقه، وتميزه بحصافة الرأي، واتساع الأفق، وعمق البحث؛ لذلك كان تفسيره محل ثناء العلماء، يقول ابن خلدون في مقدمته: "وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى"[(٢)]. وقال عنه أبو حيان في مقدمة تفسيره: "وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص"[(٣)].

وفيما يلي عرض لبعض المواضع التي ظهر فيها أثر النحاس على ابن عطية:

---

(١) انظر ترجمته في: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٢/٧٣ وما بعدها؛ وطبقات المفسرين، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط١، تحقيق: علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ٦٠- ٦١؛ وطبقات المفسرين، لشمس الدين محمد بن علي الداوودي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ١/٢٦٥ وما بعدها؛ والأعلام، لخير الدين الزركلي، ط١٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٧م)، ٣/٢٨٢؛ ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (بيروت: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، د.ت)، ٥/٩٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ٤٨٧.

(٣) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ط١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ١/١١٣.

١- مجال المعاني:

• تحدث ابن عطية عن معنى "التَّصْدِية" في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ...﴾ [(١)]، فقال: " التَّصْدِية يمكن أن تكون من صَدَّى يُصَدِّي، إذا صوَّت، والصَّدَى: الصوت... فيلتئم على هذا الاشتقاق قول من قال: هو التصفيق، وقول من قال: الضجيج. ولا يلتئم عليه قول من قال: هو الصَّد والمنع، إلا أن يجعل التصويت إنما يقصد به المنع. ففسر اللفظ بالمقصود لا بما يخصه من معناه"[(٢)]. ثم نقل قول أبي جعفر النحاس، فقال: "ويمكن أن تكون التصدية من صَدَّ يَصِدُّ بكسر الصاد في المستقبل، إذا ضجّ، ويبدل على هذا أحد المثلين[(٣)]. ومنه قوله تعالى: ﴿ إذا قومك منه يَصِدُّون ﴾ بكسر الصاد. ذكره النحاس"[(٤)].

ذكر هذا القول أبو جعفر النحاس في كتاب "إعراب القرآن"، ولم يذكره في "معاني القرآن الكريم"، على الرغم من أن كتاب "معاني القرآن الكريم" أُلِّف قبل "إعراب القرآن"، وقد أشار إلى ذلك في مواضع عدة من الكتابين[(٥)]. وفي "معاني القرآن الكريم" ذكر النحاس عدة أقوال في معنى "التصدية" في الآية الكريمة، منها: أن "التصدية" بمعنى التصفيق، وهذا القول مروي عن ابن عمر رضي الله عنه،

---

(١) سورة الأنفال: ٣٥.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ٥٨/٨.

(٣) أي إبدال أحد الدالين ياءً.

(٤) المحرر الوجيز، ٥٩/٨؛ وانظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، ١٨٧/٢.

(٥) انظر: معاني القرآن الكريم وإعرابه لأبي جعفر النحاس – دراسة معجمية، ١٥- ١٦.

وقيل بمعنى الصفير، وقيل بمعنى الصدّ عن بيت الله، فتكون من الفعل "صَدَّدْتُ"، وقد قلبت إحدى داليه ياءً، مثل: تظنَّيت من ظنَنْتُ"[1].

والذي عليه جمهور المفسرين أن "التصدية" بمعنى التصفيق، يقول ابن جرير الطبري في الرد على من قال: إن التصدية بمعنى الصد عن بيت الله الحرام: "وقد قيل: إنها الصدُّ عن بيت الله الحرام، وذلك قول لا وجه له؛ لأن التصدية مصدر من قول القائل: صَدَّيتُ تَصْدِيةً، وأما الصَّدُّ فلا يقال منه: صَدَّيتُ، إنما يقال: صَدَدْتُ...، إلا أن يكون صاحب هذا القول وجَّهَ التصدية إلى أنه من صَدَّدْتُ، ثم قلبت إحدى داليه ياءً، كما يقال: تَظَنَّيتُ من ظَنَنْتُ"[2].

والمعروف في اللغة أن "التَّصْدية" بمعنى التصفيق، وقد قال بذلك أبو عبيدة[3]، وابن قتيبة[4]، والزجاج[5]، وغيرهم من اللغويين، يقول ابن فارس: "والتَّصدية: التصفيق باليدين. قال تعالى: ﴿وما كان صلاتُهم عند البيت إلاّ مُكاءً وتَصْدِيَةً﴾"[6].

---

(١) انظر: معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، ط١، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني (مكة المكرمة: مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ١٥٢/٣- ١٥٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ط٢، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م)، ٥٢٧/١٣.

(٣) انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، ط٢، تحقيق: محمد فؤاد سزكين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٢٤٦/١.

(٤) انظر: تفسير غريب القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ١٧٩.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، ط١، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ٤١٢/٢.

(٦) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الجيل، د.ت)، (ص د ى) ٣٤١/٣.

وعليه فإن قول أبي جعفر النحاس الذي نقله ابن عطية من أن "التصدية" بمعنى الضجيج، أي أنها من الفعل: صَدَّ يَصِدُّ قول مرجوح يخالف رأي الجمهور من المفسرين واللغويين. والقول الراجح في معنى "التصدية" في الآية الكريمة أنها مصدر من الفعل: صَدَّى يُصَدِّي تَصْدِيةً، إذا صفَّق.

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾[1]، قال ابن عطية: "الخَوالِف: النساء، جمع خالفة. هذا قول جمهور المفسرين. وقال أبو جعفر النحاس: يقال للرجل الذي لا خير فيه خالفة. فهذا جمعه بحسب اللفظ، والمراد أخسة الناس وأخالفهم"[2]. هذا القول منقول عن أبي جعفر النحاس في معاني القرآن، ونصه كما ورد في المعاني: "الخوالف: أخِسّاء الناس وأرديأؤهم، ويقال: فلانٌ خالفة أهله، إذا كان دونهم. وأصله من خَلَفَ اللبنُ، يَخْلُف، خِلْفَةً: إذا حَمُضَ من طول مكثه، وخَلَفَ فَمُ الصائم: إذا تغيَّر ريحُهُ، ومنه فلان خَلْفُ سُوء"[3].

الخَالِفَة في الأصل: عمود البيت[4]، سُمِّي بذلك لأنه يكون في مؤخّر البيت[5]، ويُكنّى بالخالفة عن المرأة؛ لأنها تَخْلف الرجل في بيته، يقول ابن فارس في بيان معنى (الخوالف) في الآية السابقة: "الخوالف: هن النساء؛ لأن الرجال

---

(١) سورة التوبة: ٨٧.

(٢) المحرر الوجيز، ٢٤٨/٨- ٢٤٩.

(٣) معاني القرآن الكريم، ٢٤١/٣.

(٤) انظر: العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م)، (خ ل ف) ٢٦٩/٤

(٥) انظر: مقاييس اللغة، (خ ل ف) ٢١٣/٢.

يغيبون في حروبهم ومغاوراتهم، وتجاراتهم، وهن يخلفنهم في البيت والمنازل"[1]. ووصف الرجل الذي لا خير فيه بالخالفة، أو خالفة أهله، إذا كان دونهم مأخوذ من المعنى السابق؛ لأن المتصف بهذه الصفة متخلف عن غيره من أصحاب الهمم العالية، وقد يقال: إن "الخوالف" جمع خالِف، إلا أن فاعلاً لا يجمع على فواعل إلا في فارس، وهالك، فيقال: فوارس، وهوالك[2].

- وفي تفسير الآية الكريمة: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[3]، قال ابن عطية: "الكَهْف: النَّقب المتسع في الجبل، وما لم يتسع منها فهو غار. وحكى النحاس عن أنس بن مالك أنه قال: الكَهْف: الجبل، وهذا غير شهير في اللغة"[4].

القول إن الكَهْف بمعنى الجبل قول غير مشهور كما ذكر ابن عطية، وقد ذكره أبو جعفر النحاس في "معاني القرآن الكريم" برواية يزيد بن درهم، قال: "سُئِل أنس بن مالك عن الكَهْف، والرقيم فقال: الكَهْف: الجبل، والرقيم: الكلب"[5]. ولم يقل به أحد من أهل اللغة إلا الفراء[6]. والذي عليه جمهور المفسرين وعلماء اللغة أن الكَهْف: كالغار في الجبل، إلا أنه واسع، وإذا صغر فهو غار[7].

---

(١) المرجع السابق، (خ ل ف) ٢١١/٢.

(٢) انظر: مجاز القرآن، ٢٦٥/١؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٤٦٥/٢؛ ومعاني القرآن الكريم للنحاس، ٢٣٠/٢.

(٣) سورة الكف: ٩.

(٤) المحرر الوجيز، ٣٦٧/١٠.

(٥) معاني القرآن الكريم، ٢١٧/٤.

(٦) انظر: معاني القرآن، ليحيى بن زياد الفراء، تحقيق: محمد علي النجار (بيروت: دار السرور، د.ت)، ١٣٤/٢.

(٧) انظر: العين، (ك هـ ف) ٣٨٠/٣؛ وتهذيب اللغة، (ك هـ ف) ٢٨/٦.

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]، قال ابن عطية: "المؤمن: اسم فاعل من آمن، بمعنى أمن. قال أحمد بن يحيى ثعلب: معناه: المصدق للمؤمنين في أنهم آمنوا. قال النحاس: أو في شهاداتهم على الناس في القيامة"[2].

قول أبي جعفر النحاس – كما جاء في إعراب القرآن – هو شرح وإيضاح لقول أحمد بن يحيى ثعلب، حيث قال: "الله جل وعز المؤمن؛ لأنه يصدق عباده المؤمنين"[3]. ولم يرد عند النحاس أنه يصدقهم في الإيمان كما جاء عند ابن عطية؛ ولذلك شرح أبو جعفر النحاس عبارة ثعلب بأن الله – عز وجل- يصدق المؤمنين يوم القيامة في شهادتهم على الناس، فقال: "ومعنى هذا أن المؤمنين يشهدون على الناس يوم القيامة فيصدقهم الله جل وعز"[4].

٢- **مجال القراءات:**

• في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[5]، قال ابن عطية: "قرأ ابن كثير خِطَاءً بكسر الخاء، وفتح الطاء، ومد الهمزة، وهي قراءة الأعرج بخلاف، وطلحة،

(١) سورة الحشر: ٢٣.

(٢) المحرر الوجيز، ١٥/ ٤٨٠.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٤/ ٤٠٥

(٤) المرجع السابق، ٤/ ٤٠٥.

(٥) سورة الإسراء: ٣١.

وشبل، والأعمش، وعيسى، وخالد بن إياس، وقتادة، والحسن بخلاف عنه، قال النحاس: ولا أعرف لهذه القراءة وجهاً..."[1].

القراءة بالكسر والمد "خِطَاءً" قراءة سبعية، قرأ بها ابن كثير[2]. وأما قول أبي جعفر النحاس إن هذه القراءة لا تعرف في اللغة، ولا في كلام العرب[3]، فلا يعتد به لأمرين:

١- أن "خِطَاءً" مصدر خَاطَأَ يُخاطِيءُ خِطَاءً[4]. وقد ورد في كلام العرب ما يدل على ذلك، يقول أبو علي الفارسي في هذه القراءة: "يجوز أن يكون [أي خِطاء] مصدرَ خَاطأَ، وإن لم يُسمع خَاطَأَ، ولكن قد جاء ما يدل عليه؛ وذلك أن أبا عبيدة أنشد:

* تخاطأتِ النبل أحشاءَه *

فتخاطأت يدل على خَاطأ؛ لأن تفاعل مطاوعُ فاعل، كما أن تَفَعَّلَ مطاع فَعَّلَ"[5].

٢- أن هذه القراءة سبعية؛ وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم بطرق متواترة كالقراءات السبع عربي فصيح، يقول ابن الجزري: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها

---

(١) المحرر الوجيز، ١٠/٢٨٥.

(٢) انظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ط٢، تحقيق: شوقي ضيف (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ٣٧٩؛ والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تصحيح ومراجعة: محمد علي الضباع (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ٢/٣٠٧.

(٣) انظر: معاني القرآن الكريم، ٤/١٤٨.

(٤) انظر معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري، ط١، تحقيق: أحمد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ٢٥٥.

(٥) الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ط١، وضع حواشيه وعلق عليه: كامل مصطفى الهنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ٣/٥٧.

فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء أكانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين"[1].

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[2]، قال ابن عطية: "قرأ الجمهور: (الرَّشَاد) مصدر رَشَدَ، وفي قراءة معاذ بن جبل: (سبيل الرَّشَّادِ) بشد الشين[3]. قال أبو الفتح: وهو اسم فاعل في بنيته مبالغة، وهو من الفعل الثلاثي رَشَدَ، فهو كعبَّاد من عَبَدَ. وقال النحاس: هو لحن، وتوهمه من الفعل الرباعي، وقوله مردود"[4].

يرى أبو جعفر النحاس أن "الرَّشَّاد" في هذه القراءة لحن إذا كان من الفعل الرباعي "أَرْشَدَ يُرْشِدُ"؛ لأن "فعَّال" لا يكون من الرباعي "أَفْعَلَ"، وإنما يكون من الثلاثي، وإذا أريد التكثير من الرباعي قيل: "مِفْعَال"[5].

ويرى ابن عطية أن هذا وهم من النحاس؛ لأن "الرَّشَّاد" في هذه القراءة من الثلاثي لا الرباعي، فهو من "رَشَدَ يَرْشُدُ" كعَبَّاد من "عَبَدَ يَعْبُدُ"، أو أنه من "رَشِدَ يَرْشَدُ" كعَلاَّم من "عَلِمَ يَعْلَمُ"[6]. وذهب بعضهم إلى أن "فَعَّال" يبنى من "أَفْعَلَ"

---

(١) النشر في القراءات العشر، ١/٩.

(٢) سورة غافر: ٢٩.

(٣) هذه من القراءات الشاذة، كما في المحتسب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ٢/٢٤١.

(٤) المحرر الوجيز، ١٤/١٣٥.

(٥) انظر: معاني القرآن الكريم، ٦/٢١٨- ٢١٩.

(٦) انظر: المحتسب، ٢/٢٤١.

الرباعي كَدَرَّاك من أَدْرَكَ، وسَآر من أَسْأَر، وجَبَّار من أَجْبَرَ، وقَصَّار من أَقْصَرَ[1]، ولم يسمع في غيرها من الألفاظ، ومن ثم فلا يقاس عليه، والحمل على الثلاثي أولى؛ لأنه مقيس.

٣- **مجال الصرف:**

نقل ابن عطية عن أبي جعفر النحاس أن "السَّلْم" مؤنثة كالحرب في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ...﴾[2]، فقال: "وعاد الضمير في لها مؤنثاً إذ السَّلْم بمعنى المُسَالمة والهدنة. وقيل: السَّلْم مؤنثة كالحرب، ذكره النحاس"[3].

"السَّلْم" في اللغة بمعنى الصُّلْح، يؤنَّث ويذكر[4]، ويكون بفتح السين وكسرها[5]، وذكر الأخفش أن الفتح لغة أهل الحجاز، ولغة غيرهم الكسر[6]. وقد قُرِئ بفتح السين وكسرها، وكلتاهما قراءة سبعية[7]. ومما جاء بالكسر قول عباس بن مرداس يخاطب خُفاف بن ندبة:

---

(١) انظر: الكشاف، لمحمود بن عمر الزمخشري، ط١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ٣٤٥/٥؛ والبحر المحيط، ٤٤٣/٧.

(٢) سورة الأنفال: ٦١.

(٣) المحرر الوجيز، ١٠٤/٨؛ وانظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٤/٢.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، (س ل م) ٩١/٣.

(٥) انظر: الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، ط٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م)، (س ل م) ١٩٥١/٥.

(٦) انظر: معاني القرآن، للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، ط١، تحقيق: هدى محمود قراعة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ٣٥٢/١.

(٧) قرأ بكسر السين عاصم في رواية أبي بكر، وقرأ باقي السبعة بالفتح، وروى حفص عن عاصم الفتح أيضاً. انظر: السبعة في القراءات، ٣٠٨.

السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْها مَارَضِيتَ به

والحَرْبُ يَكْفيكَ مِن أَنْفاسِها جُرَعُ[1]

ويلحظ أن "السِّلْم" أنثت تأنيث نقيضها، وهي الحرب.

يتبين مما سبق أن أثر أبي جعفر النحاس في ابن عطية محدود إذا ما قيس بأثره على القرطبي، كما سنبين ذلك في المبحث الثاني من هذه الدراسة. وكان اعتماد ابن عطية على أبي جعفر النحاس في بيان بعض المعاني اللغوية لبعض المفردات. ولم تكن آراء النحاس عند ابن عطية محل قبول وتسليم، بل كان يستدرك عليه، ويرد بعض أقواله، ويقدم عليه أبا إسحاق الزجاج، وأبا علي الفارسي، يقول في (باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه، ومراتب المفسرين): "ومن المبرزين في المتأخرين أبو إسحاق الزجاج، وأبو علي الفارسي، فإن كلامهما منخول. وأما أبو بكر النقاش، وأبو جعفر النحاس فكثيراً ما استدرك الناس عليهما"[2].

* * *

(١) انظر: الكشاف، ١/٤١٧، ٢/٥٩٥؛ وأساس البلاغة، للزمخشري، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، (ج ر ع) ٩٠؛ والمخصص لابن سيدة (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت)، ١٥/٧٤؛ ولسان العرب، لابن منظور (بيروت: دار صادر، د.ت)، (أ ب س) ٦/٣.

(٢) المحرر الوجيز، ١/١٩- ٢٠.

المبحث الثاني: أثر أبي جعفر النحاس على القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن":

الذي يطالع تفسير الإمام القرطبي يجده قد تأثر كثيراً بأبي جعفر النحاس، وبخاصة في كتابيه "معاني القرآن الكريم"، و"إعراب القرآن"؛ إذ أخذ عنهما كثيراً مما جاء في بيان معاني القرآن الكريم وإعرابه، وما ورد فيهما من آراء ومذاهب نحوية، وما ذكر من قراءات قرآنية، وما ورد فيها من تعليلات وآراء.

وكتاب "الجامع لأحكام القرآن" لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ[١]، يعد موسوعة علمية عظيمة حوت كثيراً من العلوم والمعارف من تفسير، وفقه، وقراءات، وناسخ ومنسوخ، ومسائل لغوية ونحوية، وبلاغية...إلخ. يقول الدكتور/ محمد حسين الذهبي مثنياً عليه: "وعلى الجملة فإن القرطبي – رحمه الله- في تفسيره هذا حر في بحثه، نزيه في نقده، عف في مناقشته وجدله، ملم بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كل فن استطرد إليه وتكلم فيه"[٢].

وفيما يلي عرض لبعض المواضع التي ظهر فيها أثر أبي جعفر النحاس على القرطبي:

١- **مجال المعاني:**

• في بيان معنى كلمة "قاسية" في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ...﴾[٣]. قال القرطبي: "أي صُلْبة لا تعي خيراً ولا تفعله...

(١) انظر ترجمته في: طبقات المفسرين، للسيوطي، ٩٢؛ وطبقات المفسرين، للداوودي، ٢/٦٩- ٧٠؛ وشذرات الذهب، ٥/٤٧٨- ٤٧٩؛ والأعلام، ٥/٣٢٢؛ ومعجم المؤلفين، ٨/٢٣٩- ٢٤٠.

(٢) التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، ط٨ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ٢/٣٤١.

(٣) سورة المائدة: ١٣

وقرأ الكسائي وحمزة: قَسِيَّة[1]، بتشديد الياء من غير ألف، وهي قراءة ابن مسعود، والنخعي، ويحيى بن وثاب... وقيل: هو من الدراهم القَسِيّات، أي الفاسدة الرديئة؛ فمعنى قَسِيَّة على هذا ليست بخالصة الإيمان، أي فيها نفاق. قال النحاس: وهذا قول حسن؛ لأنه يقال: درهم قسي، إذا كان مغشوشاً بنحاس أو غيره.. وأولى ما فيه أن تكون قَسِيَّة بمعنى قاسية، إلا أن فَعِيلة أبلغ من فاعلة. فالمعنى: جعلنا قلوبهم غليظة نابية عن الإيمان والتوفيق لطاعتي؛ لأن القوم لم يوصفوا بشيء من الإيمان فتكون قلوبهم موصوفة بأن إيمانها خالطه كفر، كالدراهم القَسِيَّة التي خالطها غش"[2].

نقل القرطبي قول أبي جعفر النحاس في بيان معنى " قَسِيَّة" في قراءة الكسائي وحمزة، ولم يزد على ما ذكره النحاس في هذه المسألة. وقول أبي جعفر النحاس إن " قَسِيَّة"، و"قاسية" في هذه الآية معناهما واحد، وهو الصلابة والغلظة، إلا أن "قَسِيَّة" أبلغ في مفهوم القسوة، يتفق مع ما ذكره علماء اللغة في معنى "القَسْوة" وهي الشدة والصلابة[3]، فهذه القلوب التي نقضت الميثاق قست وصلبت بسبب النفاق والعصيان حتى أصبحت كالدراهم المغشوشة في اليبس والصلابة؛ ذلك أن الدراهم الخالصة فيها لين، أما المغشوشة فتكون صلبة بسبب ما خالطها من النحاس، أو الحديد، أو غير ذلك.

---

(١) قراءة سبعية، انظر: السبعة في القراءات، ٢٤٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط١، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ٦/١١٥- ١١٦؛ وانظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٢/٢٨١.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، (ق س ى) ٥/٨٧.

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [1]، قال القرطبي: "قُرئ (يُكَذِّبونَكَ) مخفّفاً ومشدّداً[2]؛ قيل هما بمعنى واحد كحزَّنته وأَحْزَنته، واختار أبو عبيد قراءة التخفيف، وهي قراءة علي رضي الله عنه... قال النحاس: وقد خُولف أبو عبيد في هذا. وروي: لا يُكَذِّبك. فأنزل الله عز وجل: ﴿ لا يُكذِّبونَكَ ﴾، ويقوي هذا أن رجلاً قرأ على ابن عباس: ﴿فإنهَّم لا يُكْذِبونك﴾ مخففاً، فقال له ابن عباس: ﴿ فإنَّهم لا يُكذِّبونَكَ﴾ ؛ لأنهم كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم الأمين. ومعنى ﴿ يُكْذِبونك﴾ عند أهل اللغة : يَنْسبونك إلى الكذب، ويردون عليك ما قلت. ومعنى ﴿لا يُكْذِبونَك﴾ أي لا يجدونك تأتي بالكذب؛ كما تقول: أكْذبْته وجدته كذّاباً، وأبْخَلْته وجدته بخيلاً، أي لا يجدونك كذّاباً إن تدبروا ما جئت به. ويجوز أن يكون المعنى: لا يثبتون عليك أنك كاذب؛ لأنه يقال: أكْذَبته، إذا احتججت عليه، وبينت أنه كاذب. وعلى التشديد: لا يُكَذِّبونك بحجة ولا برهان؛ ودل على هذا ﴿ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾. قال النحاس: والقول في هذا مذهب أبي عبيد، واحتجاجه لازم؛ لأن علياً -كرم الله وجهه- هو الذي روى الحديث، وقد صح عنه أنه قرأ بالتخفيف؛ وحكى الكسائي عن العرب: أكْذَبت الرجل، إذا

(١) سورة الأنعام: ٣٣.

(٢) كلتا القراءتين من القراءات السبع، قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، وابن عامر: { لا يُكذِّبونَكَ} مشدَّدة، وقرأ نافع، والكسائي: { لا يُكْذِبونَكَ} مخففة. انظر: السبعة في القراءات، ٢٥٧.

أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه، وكذَّبته، إذا أخبرت أنه كاذب..."[1]. هذه الأقوال نقلها القرطبي –رحمه الله– عن أبي جعفر النحاس في معانيه، وتفصيل ذلك أن هناك من يرى أن كَذَّب وأَكْذَب بمعنى واحد، يقال: كَذَّبْتُ الرجلَ وأَكْذبْته، أي نسبْتهُ إلى الكذب[2]. وهذا قول مرجوح يخالف رأي الجمهور، والذي عليه جمهور اللغويين أن كذَّبه: قال له كَذَبْتَ، وأَكْذَبه: أدَّعى أن ما أتى به كَذِبٌ[3].

ويبدو أن آراء النحاس وأقواله محل رضا وقبول لدى القرطبي؛ ولذلك غالباً ما يورد أقواله دون مناقشة أو تعقيب، وهو بذلك يختلف عن ابن عطية الذي كان يستدرك على النحاس، ويرد بعض أقواله كما مرّ بنا في المبحث السابق.

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾، قال القرطبي في بيان معنى "ظُلمات البر والبحر": "أي شدائدهما؛ يقال: يوم مظلم، أي شديد. قال النحاس: والعرب تقول: يوم مظلم، إذا كان شديداً، فإن عظَّمتْ ذلك قالت: يوم ذو كواكب؛ وأنشد سيبويه:

بني أَسَدٍ هل تَعْلَمونَ بلاءَنا		إذا كانَ يومٌ ذو كَواكِبَ أَشْنَعَا"[4]

يلحظ أن القرطبي –رحمه الله– يورد –أحياناً– كلام النحاس، ويكتفي به في توجيه بعض الآيات الكريمة أو بيان معانيها، كما في توجيه الآية السابقة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٦/٣٩٠- ٣٩١؛ وانظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٢/٤١٧- ٤١٩.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط٢، تحقيق: السيد أحمد صقر (القاهرة: دار التراث، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ١٢٤.

(٣) من الذين قالوا بهذا الرأي: الفراء في معانيه، ١/٣٣١؛ وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، ١٢٤- ١٢٥؛ وفي تفسير غريب القرآن، ١٥٣؛ والزجاج في معانيه، ٢/٢٤٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٧/١١- ١٢؛ وانظر: معاني النحاس، ٢/٤٣٩- ٤٤٠.

حيث اكتفى بكلام النحاس في بيان معنى "ظلمات البر والبحر"، ولم يزد عليه؛ مما ينبئ عن ثقته به، والاعتماد عليه في تفسير القرآن الكريم، وبيان معانيه. وقول أبي جعفر النحاس السابق في معنى "ظلمات البر والبحر" منقول عن أبي إسحاق الزجاج في معانيه[1]، مع بعض الاختلاف في رواية البيت الذي أنشده سيبويه، فقد ذكره الزجاج على النحو التالي:

بني أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمونَ بلاءَنا إذا كانَ يومٌ ذو كَواكبَ أَشْهَبُ

والبيت كما ورد في كتاب سيبويه[2]:

بني أَسَدٍ هل تَعْلَمونَ بلاءَنا إذا كانَ يوْماً ذا كَواكبَ أَشْنَعَا

وهو كما في رواية النحاس، إلا أن لفظ "يوم" جاء منصوباً، أي إذا كان اليوم الذي يقع فيه القتال يوماً ذا كواكب.

• وفي بيان معنى "الطُّوفان" في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ..﴾[3]، قال القرطبي: "الطُّوفان: أي المطر الشديد حتى عاموا فيه. وقال مجاهد وعطاء: الطُّوفان: الموت. قال الأخفش: واحدته طوفانة. وقيل: هو مصدر كالرُّجْحان والنُّقصان، فلا يطلب له واحد. قال النحاس: الطُّوفان في اللغة: ما كان مُهْلِكاً من موت أو سَيْل، أي ما يُطيف بهم فيهلكهم"[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٢/٢٥٨- ٢٥٩.

(٢) ورد هذا البيت في كتاب سيبويه منسوباً لعمرو بن شَأس، انظر: الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ط٣، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ١/٤٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٣٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٧/٢٥٧؛ وانظر: معاني النحاس، ٣/٦٩.

الطُّوفان عند كثير من علماء اللغة والتفسير ما كان مطيفاً بالإنسان محيطاً به سواء أكان سيلاً جارفاً يغرق كل شيء، أو موتاً ذريعاً يقبض الأرواح[1]، وهو ما عناه النحاس بقوله السابق: "أي ما يطيف بهم فيهلكهم". وقد قال به من المفسرين عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- ، واختاره ابن جرير الطبري، فقال: "والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن عباس: أنه أمر من الله طاف بهم، وأنه مصدر من قول القائل: طاف بهم أمر الله يطوف طوفاناً، كما يقال: نقص هذا الشيء ينقص نقصاناً. وإذا كان ذلك كذلك، جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد، وجاز أن يكون الموت الذريع"[2].

وقد قصره بعض علماء اللغة على السيل العرم الذي يغشى كل شيء، يقول الخليل: "الطوفان: الماء الذي يغشى كل مكان، ويُشبَّه به الظلام"[3]. وبنحو قول الخليل قال ابن فارس في مقاييس اللغة[4]، والجوهري في الصحاح[5]. وعلى هذا المعنى فسَّر الفراء معنى "الطوفان" في الآية الكريمة السابقة، فقال: "أرسل الله السماء سبتاً[6]، لم تقلع ليلاً ونهاراً، فضاقت بهم الأرض من تهدم بيوتهم، وشغلهم عن ضياعهم، فسألوه أن يرفع عنهم، فرفع عنهم فلم يتوبوا"[7].

---

(١) من الذين قالوا بهذا القول أبو إسحاق الزجاج، كما نقل ذلك عنه الأزهري في التهذيب، (ط و ف) ١٤/ ٣٤؛ والراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن، (ط و ف) ٥٣٢.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٣/ ٥٢- ٥٣.

(٣) العين، (ط و ف) ٧/ ٤٥٨

(٤) انظر: مقاييس اللغة، (ط و ف) ٣/ ٤٣٢.

(٥) انظر: الصحاح، (ط و ف) ٤/ ١٣٩٧.

(٦) أي أسبوعاً من السبت إلى السبت.

(٧) معاني القرآن للفراء، ١/ ٣٩٢.

والأرجح في ذلك –والله أعلم– أن المراد بالطوفان كل ما أحاط بالناس، وكان مهلكاً لهم، سواء أكان مطراً أو غيره، ثم قصر على الماء المتناهي في الكثرة، أو السيل الجارف؛ لأن الله – سبحانه وتعالى –أهلك قوم نوح بالماء، وسماه طوفاناً، فقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[1].

• وفي بيان معنى "الرُّشْد" في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ... ﴾[2]، نقل القرطبي كلام النحاس، فقال: "قال أبو عبيدة: فرّق أبو عمرو بين الرُّشْد والرَّشَد، فقال: الرُّشْد في الصلاح، والرَّشَد في الدين. قال النحاس: سيبويه يذهب إلى أن الرُّشْد والرَّشَد مثل السُّخْط والسَّخَط، وكذا قال الكسائي. والصحيح عن أبي عمرو غير ما قال أبو عبيد. قال إسماعيل بن إسحاق: حدَّثنا نصر بن علي عن أبيه عن أبي عمرو بن العلاء، قال: إذا كان الرُّشْد وسط الآية فهو مُسكَّن، وإذا كان رأس الآية فهو محرَّك. قال النحاس: يعني برأس الآية نحو: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[3]. فهما عنده بمعنى واحد، إلا أنه فتح هذا لتتفق الآيات. ويقال: رَشَدَ يَرْشُدُ، وَرَشِدَ يَرْشَد. وحكى سيبويه: رَشَدَ يَرْشِدَ، وحقيقة الرُّشْد والرَّشَد في اللغة أن يظفر الإنسان بما يريد، وهو ضد الخيبة"[4].

كل ما ذكره القرطبي –رحمه الله– من أقوال حول معنى "الرُّشْد" في الآية الكريمة منقول عن أبي جعفر النحاس في "إعراب القرآن"[5]. والنحاس يرى أن

---

(١) سورة العنكبوت: ١٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٦.

(٣) سورة الكهف: ١٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٧/٢٧٠- ٢٧١.

(٥) انظر: إعراب القرآن، ٢/١٤٩- ١٥٠.

"الرُّشْد"، و"الرَّشَد" بمعنى واحد، وهو مذهب سيبويه، والكسائي، وأبي عمرو ابن العلاء خلافاً لرواية أبي عبيد عنه التي أنكرها النحاس. وذهب الخليل بن أحمد إلى أن "الرُّشْد" -بالضم- نقيض الغَيّ، "والرَّشَد" -بالتحريك- نقيض الضلال[1].

وهناك من يرى أن "الرَّشَد" أخص من "الرُّشْد"، فالأول يقال في الأمور الأخروية فقط، والثاني يقال في الأمور الدنيوية والأخروية[2]. والذي عليه جمهور اللغويين أنهما بمعنى واحد، وأن معناهما خلاف الغَيّ[3].

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ...﴾[4]، قال القرطبي: "يُقال للنادم المتحيّر قد سُقِط في يده. قال الأخفش: يقال: سُقِط في يده وأُسْقِط. ومن قال: سَقَطَ في أيديهم على بناء الفاعل، فالمعنى عنده: سَقَطَ النَّدمُ، قاله الأزهري والنحاس وغيرهما"[5].

ذكر النحاس أنه قُرئ: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾[6]، وعدّها ابن خالويه من القراءات الشاذة[7]، وفسرها النحاس بقوله السابق، فقال: "ولَمَّا سَقَطَ الندَّمُ في

---

(١) انظر: العين، (ر ش د) ٢٤٢/٦.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، (ر ش د) ٣٥٤- ٣٥٥؛ وبصائر ذوي التمييز، ٧٥/٣.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، (ر ش د) ٣٩٨/٢؛ ومفردات ألفاظ القرآن، (ر ش د) ٣٥٤؛ وبصائر ذوي التمييز، ٧٥/٣.

(٤) سورة الأعراف: ١٤٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٢/٧؛ وانظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٨١/٣؛ وإعراب القرآن للنحاس، ١٥١/٢.

(٦) هذه قراءة ابن السميفع، وأبي عمران الجوني. انظر: زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، ط١، تحقيق: محمد عبد الرحمن عبد الله (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ١٧٨/٣؛ والمحرر الوجيز، ١٦٥/٧؛ والكشاف، ٥١٠/٢- ٥١١.

(٧) انظر: القراءات الشاذة، لابن خالويه، تقديم: آثر جفري (إربد – الأردن: دار الكندي، ٢٠٠٢م)، ٤٦.

أيديهم"[1]. والمراد أنه يشبه ما يقع في القلب، وفي النفس بما يسقط في اليد، ويُرى بالعين[2]. ويرى الزمخشري أن في قوله: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن شدة الندم والحسرة؛ "لأن من شأن من اشتدَّ ندمه وحسرته أن يعض يده غَمّاً، فتصير يده مسقوطاً فيها، ؛ لأن فاه قد وقع فيها"[3].

• وفي بيان معنى "المُكاء" في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ...﴾ [4]، قال القرطبي: "المُكاء: الصَّفير، والتَّصْدِية: التَّصْفيق، قاله مجاهد، والسدي، وابن عمر رضي الله عنهم. ومنه قول عنترة:

وخَليلِ غانيةٍ تَرَكْتُ مُجَدّلاً تَمْكُو فريصتُه كَشِدْق الأَعْلَمِ

أي تصوّت.. قال قتادة: المُكاءُ: ضَرْب بالأيدي، والتَّصدية: صياح... وروى ابن جريج، وابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: المُكاء: إدخالهم أصابعهم في أفواههم. والتَّصدية: الصفير: يريدون أن يشغلوا بذلك محمداً صلى الله عليه وسلم عن الصلاة. قال النحاس: المعروف في اللغة ما رُوي عن ابن عمر، حكي أبو عبيد وغيره أنه قال: مَكا يَمْكُو مَكْواً ومُكاءً، إذا صفّر..."[5].

القول إن "المُكاء" بمعنى الصّفير هو قول جمهور علماء السلف، كابن عمر، وابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير وغيرهم[6]. وهو المعروف في اللغة، كما

(١) معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣/١٨١- ١٨٢.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٢/٣٧٨.

(٣) الكشاف، ٢/٥١٠.

(٤) سورة الأنفال: ٣٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٧/٣٨٢- ٣٨٣؛ وانظر: معاني النحاس، ٣/١٥٢.

(٦) انظر: المحرر الوجيز، ٨/٥٧؛ وزاد المسير، ٣/٢٤٠؛ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/٥٩٣.

قال أبو جعفر النحاس، وقد قال به أبو عبيدة[١]، وابن قتيبة[٢]، والزجاج[٣]. قال الجوهري: "المُكاء: الصفير، وقد مَكَايَمْكُو مَكْواً ومُكاءً: صَفَر"[٤]. وأما قول قتادة إن "المُكاء": ضَرْب بالأيدي، فقد ضعّفه ابن عطية[٥]. وأما ما روي عن مجاهد من أن "المُكاء": إدخالهم أصابعهم في أفواههم يريدون أن يشغلوا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، فقد ذكر ابن الأنباري أن أهل اللغة ينكرون أن يكون المُكاء إدخال الأصابع في الأفواه[٦]، وإنما المُكاء: الصفير[٧].

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ...﴾[٨]، قال القرطبي: "أي خاصمتنا فأكثرت خصومتنا، وبالغت فيها. والجَدَل في كلام العرب: المبالغة في الخصومة، مشتق من الجَدْل، وهو شدة الفتل، ويقال للصقر أيضاً أَجْدَل لشدته في الطير... وقرأ ابن عباس: (فأكْثَرْت جَدَلَنَا)، ذكره النحاس".[٩] ما ذكره القرطبي في معنى "الجَدَل"، ونسبه إلى أبي جعفر النحاس هو في الأصل قول أبي إسحاق الزجاج الذي يرى أن "الجَدَل"، و"الجِدَال"

---

(١) انظر: مجاز القرآن، ٢٤٦/١.

(٢) انظر: غريب القرآن، ١٧٩.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٤١٢/٢.

(٤) الصحاح، (م ك و) ٢٤٩٥/٦.

(٥) انظر: المحرر الوجيز، ٥٨/٨.

(٦) انظر: زاد المسير، ٢٤٠/٣.

(٧) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق: طه عبد الحميد طه (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ٣٨٧/١.

(٨) سورة هود: ٣٢.

(٩) الجامع لأحكام القرآن، ٣١/٩؛ وانظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٨١/٢.

معناهما واحد، وهو شدة الخصومة[1]، وتبعه في هذا القول أبو جعفر النحاس[2].

و"الجِدَال" مصدر الفعل "جَادَلَ"، والاسم منه "الجَدَل"، قال الجوهري: "وجَادَلَه، أي خاصمه، مُجَادَلةً وجِدالاً، والاسم الجَدَل، وهو شدة الخصومة. وَجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدُلُهُ جَدْلاً، أي فتلته فتلاً محكماً"[3].

أما قراءة ابن عباس: "فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا" التي أوردها القرطبي نقلاً عن النحاس فهي قراءة شاذة كما ذكر ابن جني، وابن خالويه[4].

• وفي بيان معنى كلمة "سِجِّيل" في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[5]، قال القرطبي: "اخْتُلف في السِّجِّيل، فقال النحاس: السِّجِّيل: الشديد الكثير؛ وسِجِّيل، وسِجِّين اللام والنون أختان، وقال أبو عبيدة: السِّجِّيل: الشديد، وأنشد:

* ضَرْباً تَواصَى به الأبطالُ سِجِّينا *

قال النحاس: ورد عليه هذا القول عبد الله بن مسلم، وقال هذا سِجِّين، وذلك سِجِّيل، فكيف يستشهد به؟! قال النحاس: وهذا الرد لا يلزم؛ لأن أبا عبيدة ذهب إلى أن اللام تبدل من النون لقرب إحداهما من الأخرى؛ وقول أبي عبيدة يُردُّ من جهة أخرى، وهي أنه لو كان على قوله لكان حجارة سِجِّيلاً؛ لأنه لا يقال: حجارة من شديد؛ لأن شديداً نعت. وحكى أبو عبيد عن الفراء أنه قد

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٣/٤٩.

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣/٣٤٥.

(٣) الصحاح، (ج د ل) ٤/١٦٥٣.

(٤) انظر: المحتسب، ١/٣٢١؛ والقراءات الشاذة، ٦٠.

(٥) سورة هود: ٨٢.

يقال لحجارة الأرحاء سِجِّيل. وحكى عنه محمد بن الجهم أن سِجِّيلاً طين يطبخ حتى يصير بمنزلة الأرحاء"[1].

ورد في معنى كلمة "سِجِّيل" عدة أقوال كما ذكرها القرطبي وغيره من علماء التفسير واللغة، منها ما يلي:

١- أنه الشديد من الحجارة الصُّلب ومن الضَّرْب، قاله أبو عبيدة[2]، وأنشد لابن مقبل:

* ضَرْباً تَواصَتْ به الأبطالُ سِجِّينَا[3] *

ويرى أبو عبيدة أن " السجِّيل" و"السجِّين" بمعنى واحد، ويظهر ذلك من استشهاده بشطر البيت السابق. ورد هذا القول ابن قتيبة، فقال: "ولست أدري ما سجِّيل من سجِّين، وذاك باللام، وهذا بالنون، وإنما سجِّين في بيت ابن مقبل (فِعِّيل) من سَجَنْتُ، أي حَبَسْتُ، كأنه قال: ضَرْبٌ يُثْبِتُ صاحبه بمكانه، أي يحبسه مقتولاً، أو مقارباً للقتل"[4]. وقد رد عليه أبو جعفر النحاس بأن "السجِّيل" و"السجِّين" كلمتان بمعنى واحد[5]، وقد وقع بين اللام والنون إبدال لتقاربهما في المخرج؛ فهما من الأصوات الذلقية، أي التي تخرج من ذلق اللسان (طرفي

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٨٥/٩؛ وانظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣٧٠/٣- ٣٧١؛ وإعراب القرآن للنحاس، ٢٩٧/٢.

(٢) انظر: مجاز القرآن، ٢٩٦/١.

(٣) انظر: ديوانه، ١٦٥؛ ومجاز القرآن، ١٩٦/١؛ وتفسير غريب القرآن، ٢٠٨؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧١/٣؛ ومعاني القرآن الكريم للنحاس، ٣٧٠/٣؛ وتهذيب اللغة، (س ج ل) ٥٨٦/١٠. وصدره:

* ورَجْلةٍ يَضْرِبُونَ البيضَ عن عُرُضٍ *

(٤) تفسير غريب القرآن، ٢٠٨.

(٥) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣٧١/٣.

ذلقه)[1]. وظاهرة الإبدال في اللغة يشترط لها بعض علماء اللغة أن يكون بين الصوتين اللذين وقع بينهما إبدال تقارب في المخرج، أو تجانس في الصفات، ومن الذين قالوا بذلك أبو الفتح عثمان بن جني الذي يقول بتقارب الألفاظ لتقارب المعاني، كما في "أزّ"، و"هزّ" في قوله تعالى" ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[2]، قال أبو الفتح: "أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هَزّاً، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء"[3]. فالإبدال وقع بين الهمزة والهاء في هاتين الكلمتين بسبب تقاربهما في المخرج. وقد أنكر ابن جني أن يقع الإبدال بين صوتين غير متقاربين في المخرج، أو غير متحدين في الصفات، كما في صوتي الحاء والثاء في كلمتي "حَثْحَثوا"، و"حَثَّثوا"، وذلك بأن تكون الحاء في "حَثْحَثوا" مبدلة من الثاء الوسطى في "حَثَّثوا"، وعدَّ الإبدال بينهما فاسداً، وفي ذلك يقول: "وسألت أبا علي عن فساده، فقال: العّلة في فساده أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها، وذلك الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء، والهاء والهمزة، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه. فأما الحاء فبعيدة من الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها[4]".

---

(١) الأصوات الذلقية أو الذلاقة هي: اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم، وسميت بذلك؛ "لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو صدره وطرفه". انظر: سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، ط١، تحقيق: حسن هنداوي (دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ١/٦٤.

(٢) سورة مريم: ٨٣.

(٣) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، ط٢، تحقيق: محمد علي النجار (بيروت: دار الهدى، د.ت)، ١٤٦/٢.

(٤) سر صناعة الإعراب، ١/١٨٠.

٢- أنه فارسيّ معرّب، أصله بالفارسية "سَنْك وكِلْ"[١] أي حَجَر وطين، وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم من المفسرين[٢]. وذكر أبو إسحاق الزجاج أن أهل اللغة يرون أنه فارسي معرّب؛ لأن الله -عزوجل- قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط، فقال: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾[٣]. يقول الزجاج بعد أن أورد هذه الآية: "فقد تبين للعرب ما عُنِيَ بسجِّيل، ومن كلام الفرس ما لا يُحْصى مما قد أعربته العرب، نحو جاموس وديباج"[٤]. وحكى الفراء أن السجِّيل" طين قد طُبخ حتى صار بمنزلة الأرحاء[٥].

والقول بأن "السجِّيل" حجارة من طين هو أرجح الأقوال، وهو رأي الجمهور، وقد رجحه الطبري، فقال: "والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: ﴿ لِنُرْسِلَ عليهم حجارة مِنْ طِين * مسوّمة عند رَبِّكَ للمسرفين﴾[٦]. وبنحو ذلك قال ابن عطية في المحرر الوجيز[٧].

---

(١) في الفارسية سَنْك sang . بمعنى حَجَر، وكِل gil طين. انظر: المعرَّب للجواليقي، ٣٦٥؛ وقصد السبيل للمحبي، ١٢٢/٢؛ والمعجم الذهبي، ٣٥٢، ٥٠٧.

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣٧٠/٣؛ والمحرر الوجيز، ٢٠٤/٩؛ والجامع لأحكام القرآن، ٨٥/٩؛ وزاد المسير، ١١٢/٤؛ والكشاف، ٢٢٢/٣.

(٣) سورة الذاريات: ٣٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٠/٣.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء، ٢٤/٢.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤٣٥/١٥.

(٧) انظر: المحرر الوجيز، ٢٠٤/٩.

٣- أن قوله "من سجِّيل" كقولك مما سُجِّل، أي مما كتب لهم أن يعذبوا به، فهو في معنى سجِّين، وقد قال به الزجاج، واختاره، فقال: "وهذا القول إذا فُسِّر فهو أثبتها؛ لأن في كتاب الله تعالى دليلاً عليه، قال: - جل وعز -: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾[١].

سجِّيل في معنى سجِّين. فالمعنى إنها حجارة مما كتب الله - جل ثناؤه - أن يعذبهم بها"[٢].

٤- أنه من أسْجَلْته، أي أرسلته[٣]، فكأنها مرسلة عليهم.

٥- أنه من أَسْجَلْت، أي أَعْطيت[٤]، فكأنه عذاب أُعْطوه، مأخوذ من السَّجْل، وهو الدلو.

والقولان الرابع والخامس حكاهما الزجاج في معانيه[٥].

٢- **مجال القراءات:**

- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[٦]، قال القرطبي: "وقرأ حفص (تَلْقَفُ) بإسكان اللام

(١) سورة المطففين: ٧- ٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٣/٧١- ٧٢.

(٣) يقال: أسْجَلْت الكلام، أي أرْسَلْته. انظر: الصحاح، (س ج ل) ٥/١٧٢٦.

(٤) يقال: أَسْجَلَه، إذا أعطاه سَجْلاً أو سَجْلَيْن، والسَّجل: الدلو إذا كان فيه ماء. انظر: لسان العرب، (س ج ل) ١١/٣٢٥.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٣/١٧١ والكشاف، ٣/٢٢٢.

(٦) سورة الأعراف: ١١٧.

والتخفيف[1]. جعله مستقبل لَقِفَ يَلْقَفُ. قال النحاس: ويجوز على هذه القراءة (تِلْقَفُ) لأنه من لَقِفَ[2]. وقرأ الباقون بالتشديد وفتح اللام[3]، وجعلوه مستقبل تَلَقَّفَ، فهي تَتَلَقَّفُ، يقال: لَقِفْتُ الشيءَ وتَلَقَّفْتُه، إذا أخذته، أو بلعته، تَلْقَف، وتَلْقَم، وتَلْهَمُ بمعنى واحد. قال أبو حاتم: وبلغني في بعض القراءات (تَلَقَّمُ) بالميم والتشديد"[4].

يرى القرطبي أن "لَقِفَ"، و"تَلَقَّفَ" معناهما واحد، وهو الأخذ أو البلع. وقد فرَّق بينهما ابن السكيت، فرأى أن "اللَّقْف" بمعنى الأخذ أو البَلْع، أما "التَّلَقُّف" فهو بمعنى الابتلاع فقط، فقال: "اللَّقْف مصدر لَقِفْتُ الشيء أَلْقَفُه لَقْفاً، إذا أخذته فأكلته أو ابْتَلَعْته. والتَّلَقُّفُ: الابتلاع"[5].

وعلى هذا المعنى فسَّر أبو منصور الأزهري القراءتين، فقال: "من قرأ (تَلْقَفُ) فهو من لَقِفْت الشيءَ أَلْقَفه لَقْفاً، وهو: أخذ الشيء بحذق في الهواء. ورجلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ، إذا كان حاذقاً. ومن قرأ (تَلَقَّفُ) فمعناه: تلتهم العصي والحبال التي تُخُيِّلَت بسحر السحرة أنها حيات، ولم تكن بحيات"[6].

- وفي تفسير معنى "طَائِف" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[7]، قال القرطبي: "﴿إذا مَسَّهُمْ

(١) هذه قراءة عاصم في رواية حفص. انظر: السبعة في القراءات، ٢٩٠؛ والنشر في القراءات العشر، ٢/٢٧١.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢/١٤٤.

(٣) قرأ بالتشديد السبعة كلهم إلا عاصماً في رواية حفص، فإنه قرأ بالتخفيف "تَلْقَفُ". انظر: السبعة في القراءات، ٢٩٠؛ والنشر، ٢/٢٧١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٧/٢٤٩؛ وانظر: معاني النحاس، ٣/٦٣.

(٥) لسان العرب، (ل ق ف) ٩/٣٢١.

(٦) معاني القراءات، ١٨٦.

(٧) سورة الأعراف: ٢٠١.

طَيْفٌ مِنَ الشَّيطانِ ﴾ هذه قراءة أهل البصرة، وأهل مكة[1]. وقراءة أهل المدينة، وأهل الكوفة: (طَائِف)[2]. ورُوي عن سعيد بن جبير (طَيِّفٌ) بتشديد الياء[3]. قال النحاس: كلام العرب في مثل هذا (طَيْفٌ) بالتخفيف، على أنه مصدر من طَافَ يَطِيفُ. قال الكسائي: هو مخفف من (طَيِّف)، مثل: مَيْتٌ ومَيِّتٌ. قال النحاس: ومعنى (طَيْف) في اللغة ما يُتَخَيَّل في القلب أو يُرَى في النوم، وكذا معنى (طائِف). وقال أبو حاتم: سألت الأصمعي عن (طَيِّف)، فقال: ليس في المصادر فَيْعِل. قال النحاس: ليس هو بمصدر، ولكن يكون بمعنى طَائِف. والمعنى إن الذين اتقوا المعاصي إذا لحقهم شيء تفكروا في قدرة الله -عزوجل- ، وفي إنعامه عليهم فتركوا المعصية"[4].

هذه الأقوال بما فيها من قراءات نقلها القرطبي -رحمه الله- عن النحاس في إعراب القرآن[5]. ويرى النحاس أن "طَيْف"، و"طائف" معناهما واحد، وهو صورة الشيء وخياله المترائي له في المنام، أو اليقظة، و"طَائف" اسم فاعل من "طَافَ"، أما "طَيْف" فالأرجح فيه أنه مصدر من "طَافَ يَطِيفُ طَيْفاً". ويرى

---

(١) قراءة سبعية، قرأ بها ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي. انظر: السبعة في القراءات، ٣٠١؛ ومعاني القراءات للأزهري، ١٩٦؛ والمحرر الوجيز، ٢٣٥/٧؛ وزاد المسير، ٢٠٩/٣.

(٢) قراءة سبعية، قرأ بها نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة. انظر: السبعة في القراءات، ٣٠١؛ ومعاني القراءات، ١٩٦؛ والمحرر الوجيز، ٢٣٤/٧- ٢٣٥.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر الوجيز، ٢٣٥/٧؛ وابن الجوزي في زاد المسير، ٢٠٩/٣؛ ونسبها إلى ابن عباس، وابن جبير، والجحدري، والضحاك، وعدّها ابن خالويه من القراءات الشاذة. انظر: القراءات الشاذة، ٤٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٣٣٣/٧.

(٥) انظر: إعراب القرآن، ١٧١/٢.

الكسائي أنه مخفف من "طَيِّف"، ويفرق بينه وبين "طَائِف" في المعنى، فـ"الطَّيْف": اللمم، و"الطائِف": كل ما طاف حول الإنسان[1]. ولم يرتضِ ابن عطية قول الكسائي في معنى "الطائِف"، وتعجب منه، واستشهد بقول الأعشى:

وتُصْبِحُ من غِبِّ السُّرى وكَأَنَّما
أَلَمَّ بها مِنْ طائِفِ الجِنِّ أَوْلَقُ[2]

وقد ردَّ عليه أبو حيان، وبين أن البيت يصح فيه معنى ما قاله الكسائي، فقال: " ولا يتعجب من تفسير الكسائي الطائف بأنه ما طاف حول الإنسان بهذا البيت؛ لأنه يصح فيه معنى ماقاله الكسائي؛ لأنه إن كان تعجبه وإنكاره من حيث خصص الإنسان، والذي قاله الأعشى تشبيه؛ لأنه قال "كأنها" وإن كان تعجبه من حيث فسر بأنه ما طاف حول الإنسان، فطائف الجن يصح أن يقال طاف حول الإنسان"[3].

والذي عليه أكثر أهل اللغة أن "الطَّيْف"، و"الطائِف" فيهما قولان: أحدهما: أنهما بمعنى واحد، وهو الخيال الذي يراه الإنسان في منامه، أو يلم به في حالة اليقظة، وقد حُكي ذلك عن الفراء[4]. وذكر الأخفش أن "الطَّيْف" أكثر في كلام العرب من "الطائف"[5].

---

(١) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ١٢٠/٣؛ والمحرر الوجيز، ١٣٥/٧.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ٢٣٥/٧.

(٣) البحر المحيط، ٤٤٦/٤.

(٤) انظر: تهذيب اللغة، (ط و ف) ٣٤/١٤؛ ومعاني القراءات، ١٩٦؛ وزاد المسير، ٢٠٩/٣؛ ولسان العرب، (ط و ف) ٢٢٥/٩؛

(٥) انظر: معاني القرآن للأخفش، ٣٤٤/١.

وثانيهما: أن "الطائِف" ما يطوف حول الشيء، و"الطَّيْف": اللمم من الشيطان والوسوسة. قال الخليل: "كل شيء يغشى البصرَ من وسواس الشيطان فهو طَيْف"(١).

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾(٢)، قال القرطبي: "قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء، والباقون بالتاء، على أن يكون في الفعل ضمير الفاعل، و(الذين كفروا) مفعول أول، و(سبقوا) مفعول ثان. وأما قراءة الياء فزعم جماعة من النحويين منهم أبو حاتم أن هذا لحن لا تحل القراءة به، ولا تسع لمن عَرَف الإعراب أو عُرّفه. قال أبو حاتم: لأنه لم يأتِ لمن (يَحْسَبَنَّ) بمفعول، وهو يحتاج إلى مفعولين. قال النحاس: وهذا تحامل شديد، والقراءة تجوز، ويكون المعنى: ولا يحسبن من خلفهم الذين كفروا سبقوا؛ فيكون الضمير يعود على ما تقدّم، إلا أنّ القراءة بالتاء أبين"(٣). ذكر القرطبي أن جماعة من النحويين منهم أبو حاتم لا يرون صحة القراءة بالياء "يَحْسَبَنَّ"؛ لأن من قرأ بهذه القراءة لم يأتِ ليَحْسَبَنَّ بمفعول، وهو يحتاج إلى مفعولين كما ذُكر. وقد رد القرطبي على أصحاب هذا الزعم برأي أبي جعفر النحاس الذي يرى جواز هذه القراءة، وأن معناها: "ولا يَحْسَبَنَّ مَنْ خَلْفَهُم الذين كفروا سبقوا"(٤)، فيكون الفاعل – على رأي النحاس- ضميراً مستتراً تقديره "هو" يعود على "مَنْ خَلْفَهُم" في الآية (٥٧)، و"الذين" مفعولاً به أول ليحسَبَنَّ"،

(١) العين، (ط ي ف) ٤٥٩/٧.

(٢) سورة الأنفال: ٥٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٣٧/٨.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٢/٢.

وجملة "سبقوا" في موضع نصب مفعول به ثان. ويرى الفراء أن التقدير على هذه القراءة: "أَنْ سبقوا"[1]، فتكون "أن" المقدرة مصدرية، وقد سدت مع الفعل مسد مفعولي "يَحْسَبَنَّ"، والتقدير: "ولا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا أن سبقوا". وقد قال الزجاج وأبو منصور الأزهري بجواز هذا التقدير في هذه القراءة، وذكرا أن وجهها ضعيف عند أهل العربية[2]؛ لأن "أن" المصدرية موصول حرفي، وحذف الموصول اسماً كان أو حرفاً ضعيف في القياس شاذ في الاستعمال[3].

وفي رأيي أن من زعم أن القراءة بالياء "يَحْسَبَنَّ" لَحْنٌ لا تحل القراءة به، لا يعتد بكلامه؛ لأن هذه القراءة من القراءات السبع المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم[4]، فهي عربية فصيحة لا يجوز ردها أو إنكارها[5].

• وفي بيان معنى كلمة "المُعَذِّرون" في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ...﴾[6]، قال القرطبي: "قرأ الأعرج، و الضحاك: (المُعْذِرونَ) مخففاً، ورواها أبو كريب عن أبي بكر عن عاصم، ورواها أصحاب القراءات عن ابن عباس... قال النحاس: وهي [أي القراءة بالتخفيف] من أَعْذَرَ؛ ومنه "قد أَعْذَرَ من أَنْذَرَ"، أي قد بالغ في العذر من تقدم إليك فأنذرك. وأما

(١) انظر: معاني القرآن للفراء، ١/٤١٥.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٢/٤٢١؛ ومعاني القراءات، ٢٠١.

(٣) انظر: معرض الأبريز من الكلام الوجيز، لعبد الكريم محمد الأسعد، ط١ (الرياض: دار المعراج الدولية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ٢/١٩١.

(٤) انظر: السبعة في القراءات، ٣٠٧.

(٥) انظر: النشر في القراءات العشر، ١/٩.

(٦) سورة التوبة: ٩٠.

(المُعَذِّرون) بالتشديد ففيه قولان: أحدهما: أنه يكون المحقّ؛ فهو في المعنى المعتذر؛ لأن له عذراً، فيكون "المعَذِّرون" على هذه أصله المُعْتَذِرون، ولكن التاء قلبت ذالاً فأدغمت فيها، وجعلت حركتها على العين.. والقول الآخر: أن المُعَذِّر قد يكون غير محقّ، وهو الذي يعتذر ولا عذر له.. [قال] النحاس: قال أبو العباس محمد بن يزيد: ولا يجوز أن يكون الأصل فيه المعتذرين، ولا يجوز الإدغام فيقع اللبس... قال النحاس: وأصل المعذرة والإعذار والتعذير من شيء واحد، وهو مما يصعب ويتعذر. وقول العرب: من عَذيري من فلان، معناه: قد أتى أمراً عظيماً يستحق أن أعاقبه عليه، ولم يعلم الناس به؛ فمن يعذرني إن عاقبته"[1].

ذكر القرطبي – رحمه الله- أن في "المُعَذِّرون" قراءتين، إحداهما" "المُعْذِرون" بتخفيف الذال، وهي قراءة عشرية[2]، بمعنى الذين أُعْذروا، أي جاءوا بعذر، يقال: "أَعْذَرَ الرَّجلُ، إذا جاء بعذر، ولم يُقَصِّر"[3]. والثانية: "المُعَذِّرون" بتشديد الذال، وفيها قولان: الأول: أن يكون المعنى "المعْتذرين"، أي الذين جاءوا بعذر، وقد نقلت فتحة التاء إلى العين، وأبدلت التاء ذالاً، ثم أدغمت في الذال التي بعدها، فصارتا ذالاً مشددة، وقد قال بهذا القول الفراء[4]، والأخفش[5]، وأبو حاتم، وأبو عبيدة[6]، وأنشدوا:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٠٨/٨؛ وانظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٠/٢.

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر، ٢٨٠/٢، فقد ذكر ابن الجزري أن يعقوب قرأها بتخفيف الذال، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٣) معاني القراءات، ٢١٢.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء، ٤٤٧/١.

(٥) انظر: معاني القرآن للأخفش، ٣٦٣/١.

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٠/٢.

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما

ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فَقَدِ اعْتَذَرْ[1]

أي فقد جاء بعذر.

والثاني: أن يكون "المُعَذِّرون" الذين يعتذرون ولا عُذْر لهم، وقد قال بذلك أبو عبيدة[2]، وابن قتيبة[3]. ويرى محمد بن يزيد المبرد -فيما نقله النحاس عنه[4]- أن "المُعَذِّر" الذي يعتذر ولا عذْر له، لا يجوز أن يكون بمعنى المُعْتَذر؛ لأنه إذا وقع الإشكال لم يجز الإدغام[5]. والأظهر في معنى "المُعَذِّرون" -والله أعلم- هم المُعْتَذرون، كان لهم عذر أو لم يكن لهم، كما قال أبو إسحاق الزجاج[6]. والمُعْتذرون هم الذين تخلفوا عن الجهاد، وقدّموا الأعذار، وهم "أسد"، و"غطفان" الذين استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال. وقيل لهم رهط عامر بن الطفيل الذين اعتذروا عن الجهاد بسبب خوفهم على أهليهم ومواشيهم من غارات أعراب طيء كما يزعمون[7].

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة، وهو في ديوانه، ٧٩؛ وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٤٦٤/٢؛ ومعاني القرآن الكريم للنحاس، ٢٤٢/٣؛ ومعاني القراءات، ٢١٣؛ وزاد المسير، ٣٢٨/٣.

(٢) انظر: مجاز القرآن، ٢٦٧/١.

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن، ١٩١.

(٤) النحاس لم يدرك المبرد، وما نقله عنه في معظمه حدّثه إياه علي بن سليمان (الأخفش الصغير)، وقد أشار إلى ذلك في بعض المواضع من كتبه، منها ما جاء في إعراب القرآن، ٦٠/٣، قال: "وقال محمد بن يزيد فيما حكاه لنا عنه علي بن سليمان...".

(٥) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٢٤٣/٣؛ وإعراب القرآن للنحاس، ٢٣٠/٢.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٤٦٤/٢.

(٧) انظر: الكشاف، ٨٠/٣.

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، قال القرطبي: "﴿نَرْتَعْ ونَلْعَبْ﴾ بالنون وإسكان العين قراءة أهل البصرة. والمعروف من قراءة أهل مكة: (نَرْتَع) بالنون وكسر العين. وقراءة أهل الكوفة: (يَرْتَعْ ويَلْعبْ) بالياء وإسكان العين. وقراءة أهل المدينة بالياء وكسر العين؛ القراءة الأولى من قول العرب: رَتَعَ الإنسانُ والبعيرُ، إذا أكلا كيف شاءا؛ والمعنى: نتسع في الخصب؛ وكل مخصب راتع... وكذا (يَرْتَعْ) بإسكان العين، إلا أنه ليوسف وحده صلى الله عليه وسلم. و(يَرْتَع) بكسر العين من رعى الغنم، أي ليتدرب بذلك ويترجّل؛ فمرة يرتع، ومرة يتدرب لصغره"[2].

هذه القراءات والأقوال في معنى "نَرْتَع" نقلها القرطبي عن أبي جعفر النحاس[3]، وفيما يلي بيان لها:

١- من قرأ "يَرْتَعْ" بسكون العين[4]، فمعناه: يتسع في الخصب ويأكل، يقال: رَتَعَت الإبلُ: إذا رعتْ كيف شاءت، ويقال فلانٌ راتعٌ، أي مُخْصِب[5]. وتفسير "يَرْتَع" بهذا المعنى هو قول جمهور اللغويين، يقول ابن فارس في مادة "ر ت ع": "الراء والتاء والعين كلمة واحدة، وهي تدل على الاتّساع في المأكل، تقول: رَتَعَ يَرْتَع، إذا أكل ما شاء، ولا يكون ذلك إلا في الخصب"[6]. وحكى

(١) سور يوسف: ١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٩/١٤٣- ١٤٤.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢/٣١٧؛ ومعاني القرآن الكريم للنحاس، ٣/٤٠١- ٤٠٢.

(٤) قراءة سبعية، قرأ بها عاصم، وحمزة، والكسائي. انظر: السبعة في القراءات، ٣٤٦.

(٥) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣/٤٠١.

(٦) مقاييس اللغة، (ر ت ع) ٢/٤٨٦.

الأزهري عن أبي عبيدة أنه قال في معنى يَرْتَع: يَلْهو[1]. والأرجح المعنى الأول، وهو رأي الجمهور كما ذكرت. ومثل معنى "يَرْتَعْ" قراءة من قرأ "نَرْتَعْ" بفتح النون وإسكان العين[2]، إلا أن المعني في القراءة الأولى يوسف عليه السلام.

٢- من قرأ "يَرْتَع" بكسر العين[3]، كان أصله يَرْتَعي على وزن يَفْتَعِلْ، إلا أن الياء حذفت للجزم، ومعناه عند أبي عبيدة وأبي جعفر النحاس: يَرْعى الإبِل، يقال: رَعَى وارْتَعى بمعنى واحد[4]. وقيل أصله من رعاك الله، أي حفظك، فيكون المعنى على هذا: نتحارس ويحفظ بعضُنا بعضاً، وهذا قول ابن قتيبة[5]. ومثل معنى "يَرْتَع" قراءة من قرأ "نَرْتَع" بالنون وكسر التاء[6]، إلا أن المسند إليه في القراءة الأولى يوسف عليه السلام.

٣- مجال الصرف والنحو:

• في بيان معنى كلمة "ربَّاني" في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾[7]، قال القرطبي: "وقال ابن زيد: الربَّانيون: الولاة، والأحبار: العلماء. وقال مجاهد: الربَّانيون: فوق الأحبار. قال النحاس: وهو قول حسن؛ لأن الأحبار هم العلماء، والربَّاني: الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة؛ مأخوذ من قول

(١) انظر: تهذيب اللغة، (ر ت ع) ٢٦٩/٢.

(٢) قراءة سبعية، قرأ بها أبو عمرو، وابن عامر. انظر: السبعة في القراءات، ٣٤٦.

(٣) قراءة سبعية، قرأ بها نافع. انظر: السبعة في القراءات، ٣٤٥.

(٤) انظر: مجاز القرآن، ٣٠٣/١؛ ومعاني النحاس، ٤٠١/٣.

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن، ٢١٣؛ والبيان في غريب إعراب القرآن، ٣٤/٢.

(٦) قراءة سبعية، قرأ بها ابن كثير. انظر: السبعة في القراءات، ٣٤٥.

(٧) سورة آل عمران: ٧٩.

العرب: رَبَّ أَمْرَ الناس يَرُبّه، إذا أصلحه وقام به، فهو رابٌّ وربَّانِيٌّ على التكثير"[1].

يرى النحاس أن "الربَّاني" منسوب إلى الرَّبَّان، وهو الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، مأخوذ من: رَبَّ يربُّ أمرَ الناس، إذا أصلحه، وقدر زيدت فيه النون كما زيدت في غضبان وعطشان، ثم نسب إليه "رَبَّاني".

وهذا القول رجحه الطبري في تفسيره، فقال: "وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربَّانيين أنهم جمع ربَّاني، وأن الربَّاني المنسوب إلى الرَّبَّان الذي يربُّ الناس، وهو الذي يصلح أمورهم ويربُّها، ويقوم بها... فالربَّانيون إذاً هم عماد الناس في الفقه، والعلم، وأمور الدين والدنيا... والربَّاني: الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير، والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم"[2].

وهناك من يرى أن "ربَّاني" منسوب إلى الرَّب، وزيدت فيه الألف والنون للمبالغة، كما يقال: لطويل اللحية: لِحْيَانيّ، ولكثير الشَّعْر: شَعرانيّ، وأمثلته كثيرة في اللغة؛ مما يرجح هذا الرأي على سابقه[3]. وذكر المبرد أن الألف والنون زيدت في هذا النوع من النسب بسبب الزيادة في المعنى على معنى النسب[4]. ومعنى "الربَّاني" المنسوب إلى الرَّب، - كما يقول ابن عطية- : العالم ما علَّمه الرَّب، العامل بطاعته، المعلم للناس ما أمر به[5].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ١٣٠، وانظر: معاني النحاس، ١/ ٤٢٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٦/ ٥٤٣- ٥٤٤.

(٣) لمزيد من الأمثلة على هذا النوع من النسب انظر: المخصص، ١/ ٦٢، ٦٥، ٢/ ٧٠، ١١٢، ١٥٤، ٤/ ٨٠، ٦/ ٢٥.

(٤) انظر: المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٦هـ)، ٣/ ١٤٤.

(٥) انظر: المحرر الوجيز، ٣/ ١٣٩.

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ ...﴾ [1]. قال القرطبي: "أي معاذ الله. وروى الأصمعي عن نافع أنه قرأ كما قرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿ وقُلْنَ حَاشَا لِلّهِ ﴾. بإثبات الألف، وهو الأصل، ومن حذفها جعل اللام في "لِلّه" عوضاً منها. وفيها أربع لغات؛ يقال: حَاشَاك، وحاشَا لك، وحاشَ لك، وحشا لكَ. ويقال: حَاشا زيدٍ، وحَاشَا زيداً؛ قال النحاس: وسمعت علي ابن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: النصب أولى؛ لأنه قد صحَّ أنها فعل لقولهم: حَاشَ لزيدٍ، والحرف لا يحذف منه؛ وقد قال النابغة:

* ولا أُحاشي مِن الأَقْوامِ مِن أحَدِ*[2]".

ما ذكره القرطبي من أقوال ولغات في "حَاشَا" منقول عن أبي جعفر النحاس[3]. وقد ورد في "حاشَ لِلّه" عدة قراءات، أشهرها قراءتان هما: "حاشَ لِلّه" بغير ألف[4]، و"حَاشَا لِلّه" بألف[5]. ومعنى "حاشَ لِلّه" فيما فسره أهل التفسير: معاذ الله، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد[6]. أما أهل اللغة فيرون أنها مشتقة من قولك: كُنت في حشًا فلان، أي في ناحيته، يقول أبو إسحاق الزجاج: "إذا قلت حَاشَا لزيد من هذا، فمعناه: قد تَنَحّى زيد من هذا، وتباعد منه، كما أنك تقول:

---

(١) سورة يوسف: ٣١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٨٦/٩- ١٨٧.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ٣٢٦/٢- ٣٢٧.

(٤) قراءة سبعية، قرأ بها ستة من القراء السبعة غير أبي عمرو. انظر: السبعة في القراءات، ٣٤٨.

(٥) قراءة سبعية، قرأ بها أبو عمرو، ونافع في رواية الأصمعي، كما ذكر وأبو جعفر النحاس. انظر: إعراب القرآن، ٣٢٦/٢؛ والسبعية في القراءات، ٣٤٨؛ والمحرر الوجيز ٢٩١/٩.

(٦) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٤٢٢/٣؛ وزاد المسير، ١٦٨/٤؛ والدر المنثور، ٢٤١/٨- ٢٤٢.

تَنَحّى من الناحية، وكذلك قد تحاشى، من هذا الفعل"[1]. والمعنى في {حَاشَ لِلّه} أي نحّى الله هذا من هذا[2].

و"حَاشَا" اختلف النحويون فيها هل هي فعل أم حرف؟ وقد عرض آراءهم وناقشها أبو البركات بن الأنباري في كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف"[3]، وفيما يلي عرض لها بإيجاز:

ذهب الكوفيون وبعض البصريين إلى أنها فعل مستدلين بما يلي:

١- أنها تتصرف، والتصرف من خصائص الأفعال، قال النابغة الذبياني:

ولا أَرَى فاعلاً في النَّاسِ يُشبِهُهُ

ولا أُحاشي من الأقوامِ من أَحدِ[4]

٢- أنه يدخلها الحذف، والحذف لا يدخل الحرف.

وقد وافق الكوفيين في هذا القول محمد بن يزيد المبرد فيما حكاه عنه علي بن سليمان (الأخفش الصغير) فرجح القول بفعليتها مستدلاً بهذين الأمرين، أي الحذف، والتصرف[5].

٣- أنه يتعلق بها حرف الجر في قوله "حَاشَا لِلّه"، وحرف الجر يتعلق بالفعل لا بالحرف[6].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٠٧/٣.

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٤٢٣/٣.

(٣) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ٢٧٨/١ وما بعدها.

(٤) انظر: ديوانه، ٢٠؛ وشرح القصائد التسع المشهورات، لأبي جعفر النحاس، ١٦٦؛ وإعراب القرآن للنحاس، ٣٢٧/٢؛ والإنصاف في مسائل الخلاف، ٢٧٨/١؛ والبيان في غريب إعراب القرآن، ٣٩/١؛ وتهذيب اللغة، (ح ش ١) ١٤٠/٥.

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ٣٢٦/٢.

(٦) انظر: الإنصاف، ٢٨٠/١.

وذهب سيبويه وأكثر البصريين إلى أنها حرف مستدلين بما يلي:

١- أن نون الوقاية لا تتصل بها، فلا يقال "حَاشَاني"، وإنما يقال: "حَاشَايَ"، ولو كانت فعلاً لاتصلت بها النون[١]، قال الشاعر:

في فِتْيةٍ جَعَلُوا الصَّلِيبَ إلهَهُمْ		حَاشَايَ إنِّي مُسْلِمٌ معذورُ[٢]

فقال: "حَاشَايَ"، ولم يقل: "حَاشَاني".

٢- أنه لا يحسن دخول "ما" عليها، فلا يقال: "ماحَاشَا زيداً" كما يقال: "ما خَلا زيداً، وما عَدَا عَمْراً"[٣]. وذكر ابن هشام أن ابن مالك توهم أن "ما" مصدرية في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أسامة أحب الناس إليَّ ما حَاشَا فاطمةَ"[٤]، فاستدل بذلك على أنه قد يقال: "قامَ القومُ ما حَاشَا زيداً"، و"ما" في الحديث الشريف نافية، و"حَاشَا" فعل متعدٍ متصرف، والمعنى: أنه عليه الصلاة والسلام لم يستثنِ فاطمةَ[٥].

٣- أن ما بعدها يأتي مجروراً، ولو كانت فعلاً لما جاز أن يجر ما بعدها[٦]، قال الشاعر:

---

(١) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن، ٢/٣٩.

(٢) البيت للمغيرة بن عبد الله الملقب بالأقيشر. انظر: البيان في غريب إعراب القرآن، ٢/٣٩؛ وأوضح المسالك، ١/١١٩؛ ولسان العرب، (ح ش ا) ١٤/١٨٢.

(٣) انظر: الإنصاف، ١/٢٨٠.

(٤) انظر: المسند، للإمام أحمد بن حنبل، ط١، شرحه وصنع فهارسه: أحمد محمد شاكر (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ٥/١٩٤.

(٥) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبد الله جمال الدين بن هشام، ط٥، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ١/١٦٤.

(٦) انظر: الإنصاف، ١/٢٨٠- ٢٨١.

حَاشَا أبي ثَوْبانَ إنَّ بِهِ		ضِنّاً على المَلْحاةِ والشَّتْمِ[1]

وقد رُدَّ على الكوفيين ومن وافقهم من البصريين بما يلي:

أن الاستشهاد بقول النابغة "وما أُحاشي" لا يعد دليلاً على تصرفها؛ لأن "أُحاشي" ليس متصرفاً من لفظ "حَاشَا"، وإنما هو مأخوذ من لفظها، كما يقال: بَسْمَلَ، وهَلَّلَ، وسَبْحَلَ، وحَمْدَلَ، إذا قال: بسم الله، ولا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، فكما أخذت هذه الأفعال من تلك الألفاظ، أخذت "أُحاشي" من ذلك اللفظ[2].

وقولهم: إن الحرف لا يدخله الحذف لا يشمل ذلك جميع الحروف، بل إن بعضها قد يدخله الحذف كما في "سَوْفَ"، فقد قالوا: "سَوْ أَفْعَلُ" في "سَوْفَ أَفْعَلُ". وقالوا أيضاً إن السين في "سَأَفْعَل" أصلها "سَوْفَ أَفْعَلُ". وقد حذفت منها الواو والفاء[3].

والقول إن حرف الجر قد تعلّق بها في قوله "حَاشَا لِلّه" رُدَّ عليه بأن اللام في "حَاشَا لِلّه" زائدة لا تتعلق بشيء، كاللام في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[4]، والتقدير فيه –والله أعلم– : يَرْهبون ربَّهم، فاللام زائدة لا تتعلق

---

(١) البيت للجميح الأسدي، واسمه منقذ بن الطماح. انظر: المفضليات، ٣٦٧؛ والإنصاف، ١/ ٢٨٠؛ والبيان في غريب إعراب القرآن، ٢/ ٤٠؛ ولسان العرب، (ح ش ا) ١٤/ ١٨٢. وروايته كما في المفضليات:

حَاشَا أبا ثَوْبانَ إنَّ أبا		ثَوْبانَ لَيْس ببَكْمةٍ فَدْمِ
عَمْرَو بنَ عبد الله إنَّ به		ضِنّاً عنِ المَلْحَاةِ والشَّتْمِ

(٢) انظر: الإنصاف، ١/ ٢٨٢- ٢٨٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١/ ٢٨٦- ٢٨٧.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٤.

بشيء. وكقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[1]، فالباء زائدة لا تتعلق بشيء، والتقدير - والله أعلم - : ألم يعلم أنَّ الله يرى[2].

٤- **مجال اللغات (اللهجات):**

• في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ...﴾[3]، قال القرطبي: "الوَجَلُ: الخَوْف. وفي مستقبله أربع لغات: وَجِلَ يَوْجَل، وياجَل، ويِيْجَل، ويَيْجَل، حكاه سيبويه.. فمن قال: ياجَل في المستقبل جعل الواو ألفاً لفتحة ما قبلها. ولغة القرآن الواو ﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ ﴾[4]. ومن قال: يِيْجَل بكسر الياء فهي على لغة بني أسد، فإنهم يقولون: أنا إِيْجَل، ونحن نِيْجَل، وأنت تِيْجل؛ كلها بالكسر. ومن قال: يَيْجَل، بناه على هذه اللغة، ولكنه فتح الياء كما فتحوها في يَعْلَم، ولم تكسر الياء في يَعْلَم لاستثقالهم الكسر على الياء. وكسرت في يِيْجَل لتقوّي إحدى الياءين بالأخرى"[5].

هذه اللغات الأربع في مستقبل "وَجِلَ" ذكرها سيبويه في باب "ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحرف حين قلت فَعِلَ"[6]. وذكر أن العرب غير أهل الحجاز يكسرون حرف المضارعة، فيقولون: هي تِيْجَل، وأنا

---

(١) سورة العلق: ١٤.

(٢) انظر: الإنصاف، ١/٢٨٣؛ والبيان في غريب إعراب القرآن، ٢/٤٠- ٤١.

(٣) سورة الأنفال: ٢.

(٤) سورة الحجر: ٥٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٧/٣٤٩؛ وانظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢/١٧٥.

(٦) انظر: الكتاب، ٤/١١٠.

إِيْجَل، ونحن نِيْجَل[1]. وقصر القرطبي الكسر - في حديثه السابق- على لغة بني أسد. أما من قال: "ياجَل" في المضارع "وَجِلَ" فيذكر سيبويه أن الواو أبدلت ألفاً كراهية ورودها مع الياء[2]. أما أهل الحجاز فلغتهم الفتح، يقولون: "وَجِلَ يَوْجَل" وهي الأجود- كما يقول أبو إسحاق الزجاج- [3]، والأكثر استخداماً في اللغة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[4].

وأنشد أهل اللغة لمعن بن أوس المزني:

لَعَمْرُك ما أَدْرِي وإِنِّي لأَوْجَلُ

عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو المَنِيَّةُ أَوَلُ[5]

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[6]، قال القرطبي: "رُوي عن أبي عَبلْة: (الحَمْدُ لُلَّهِ) بضم الدال واللام على إتباع الثاني الأول، وليتجانس اللفظ.. وروي عن الحسن بن أبي الحسن، وزيد بن عليّ: (الحَمْدِ لِلَّهِ) بكسر الدال على إتباع الأوّل الثاني"[7].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١١١/٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١١٢/٤.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٤٠١/٢.

(٤) سورة الحجر: ٥٣.

(٥) انظر: العين، (و ج ل) ١٨٢/٦؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٤٠٠/٢؛ ومعاني القرآن الكريم للنحاس، ١٢٩/٣؛ وتهذيب اللغة، (و ج ل) ١٩٠/١١؛ وزاد المسير، ٢١٧/٣.

(٦) سورة الفاتحة: ٢.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، ١٥٢/١.

هاتان القراءتان نقلهما القرطبي عن أبي جعفر النحاس[1]، وهما من القراءات الشاذة[2]. وقد حكاهما النحاس عن الفراء[3]، ونسب كل قراءة إلى لغة قبيلة من قبائل العرب المعروفة، وهو بذلك يرد على شيخه علي بن سليمان (الأخفش الصغير) الذي يقول بعدم جواز هاتين القراءتين عند البصريين، فقال النحاس: : "هاتان لغتان معروفتان، وقراءتان موجودتان في كل واحدة منهما علة، روى إسماعيل بن عياش عن زريق عن الحسن أنه قرأ (الحَمْدِ لِلَّه)، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة (الحَمْدُ لُلَّه)، وهذه لغة بعض بني ربيعة، والكسر لغة تميم"[4]. ولم يكتفِ النحاس بتوثيق هاتين القراءتين، ونسبتهما إلى القبائل التي تتحدثهما، وإنما يعلل لهما بقوله: "فأما العِلَّة في الكسر فإن هذه اللفظة تكثر في كلام الناس، والضم ثقيل، ولاسيما إذا كانت بعده كسرة، فأبدلوا من الضمة كسرة، وجعلوها بمنزلة شيء واحد، والكسرة مع الكسرة أخف، وكذلك الضمة مع الضمة، فلهذا قيل: (الحَمْدُ لُلَّه)"[5].

وهكذا يتبين أن النحاس – رحمه الله- يورد اللغات من أجل توثيق القراءات وتعليلها وتوجيهها، ويستند عليها أيضاً في رد بعض الأقوال والآراء، كرده رأي أستاذه علي بن سليمان (الأخفش الصغير) الذي ذكرناه آنفاً.

ويرى ابن جني أن العلة في ورود هاتين القراءتين على هذا النحو هو كثرة الاستعمال؛ فالعرب ترغب في تغيير اللفظ إذا كثر استعماله؛ ولذلك أتبع أحد الصوتين الآخر في قراءة "الحَمْدُ لُلَّه"/ و"الحَمْدِ لِلَّه" وجعلهما كالجزء الواحد، وإن

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ١/ ١٧٠.

(٢) انظر: القراءات الشاذة، ١؛ والمحتسب، ١/ ٣٧.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء، ١/ ٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس، ١/ ١٧٠.

(٥) المرجع السابق، ١/ ١٧٠.

كانا جملة ؛ بسبب كثرة الاستعمال، وفي ذلك يقول: "أن هذا اللفظ (أي لفظ هاتين القراءتين) كثر في كلامهم، وشاع استعماله، وهم لِمَا كثر في استعمالهم أشد تغييراً، كما جاء عنهم لذلك: لم يَكُ، ولا أَدْرِ، ولم أُبَلْ، وأَيْشٍ... فلما اطَّرد هذا ونحوه لكثرة استعماله اتبعوا أحد الصوتين الآخر، وشبهوهما بالجزء الواحد، وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر، فصارت (الحَمْدُ لُلَّه) كَعُنُق وطُنُب، و(الحَمْدِ لِلَّه) كإبِل وإطِل"[1].

ولا أرى ما ذهب إليه ابن جني، فالإتباع في اللغة ليس كثيراً ؛ وإنما ورد في ألفاظ معدودة لا يقاس عليها، وهو ما ذهب إليه ابن الأنباري، فوصف هاتين القراءتين بأنهما "ضعيفتان في القياس، قليلتان في الاستعمال ؛ لأن الإتباع إنما جاء في ألفاظ يسيرة لا يُعْتَدُّ بها فلا يقاس عليها"[2].

● ومما نقله القرطبي عن النحاس في مجال اللغات ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3]، قال القرطبي: "وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش" (نِسْتعين) بكسر النون، وهي لغة تميم وأسد وقيس وربيعة ؛ ليدل على أنه من اسْتَعان، فكسرت النون كما تكسر ألف الوصل"[4].

هذا القول نقله القرطبي عن أبي جعفر النحاس في إعراب القرآن[5]، وإن لم يصرح بنسبته إليه، وقد حرص النحاس في هذا الكتاب (أي كتاب الإعراب) أن

---

(١) المحتسب، ١/٣٧.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن، ١/٣٥.

(٣) سورة الفاتحة: ٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ١/١٦٣.

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ١/١٧٣.

ينسب اللغة أو اللهجة إلى قبيلتها، بهدف توثيق القراءات بلغات العرب، فنسب لغة الكسر "نِسْتَعين" إلى تميم وأسد وربيعة. وقد نسبها ابن عطية إلى بعض قريش[1]. وهذه القراءة "نِسْتعين" بكسر النون قراءة شاذة، قرأ بها ابن حبيش، كما ذكر ابن خالويه والزمخشري[2].

● ومن الأمثلة أيضاً على توثيق القراءات بلغة بعض القبائل ما جاء في بيان معنى كلمة "الصَّواعِق" في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ..﴾[3]، قال القرطبي: "وقرأ الحسن (من الصَّواقِع) بتقديم القاف... قال النحاس: وهي لغة تميم وبعض ربيعة"[4]. قراءة الحسن "الصَّواقِع" قراءة شاذة[5]، وقد نسب النحاس هذه اللغة إلى تميم وبعض بني ربيعة، وقصرها أبو عمرو بن العلاء، والفراء على بني تميم[6]. وإذا كانت "الصَّواقِع" لغة في "الصّواعِق" فليست من باب المقلوب، وهو رأي الزمخشري وأبي حيان[7]، يقول الزمخشري: "وقرأ الحسن: (من الصواقع)، وليس بقلب للصواعق؛ لأن البناءين سواء في التصرف، وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله، ألاتراك تقول: صقعه على رأسه، وصقع الديك، وخطيب مصقع: مجهر بخطبته، ونظيره:

(١) انظر: المحرر الوجيز، ١/٧٦.

(٢) انظر: القراءات الشاذة، ١؛ والكشاف، ١/١٢٠.

(٣) سورة البقرة: ١٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ١/٢٣٧؛ وانظر: إعراب القرآن للنحاس، ١/١٩٤.

(٥) انظر: القراءات الشاذة، ٣.

(٦) انظر: المحرر الوجيز، ١/١٣٥؛ ولسان العرب، (ص ق ع) ٨/٢٠١.

(٧) انظر: الكشاف، ١/٢٠٦؛ والبحر المحيط، ١/٢٢٠.

(جَبَذَ) في: (جَذَبَ) ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف"[1]. و"الصَّاعِقَة"، و: الصَّاقِعَة" بمعنى واحد عند أهل اللغة، قال ابن منظور: "وصُقِعَ الرجلُ: كَصُعِقَ، والصَّاقِعةُ كالصَّاعِقة، حكاه يعقوب.. ويقال: صَقَعَتْهُ الصَّاقِعة. قال الفراء: تميم تقول: صاقِعةٌ في صَاعِقة"[2].

إن المتتبع لتفسير القرطبي -رحمه الله- يلحظ تأثره الواضح بأبي جعفر النحاس. وقد ظهر هذا التأثر في مجال المعاني، والقراءات القرآنية، والنحو والصرف، واللغات (اللهجات)، وغير ذلك من قضايا التفسير واللغة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من الاستشهاد بأقوال النحاس وآرائه. ويلحظ أن القرطبي غالباً ما يورد أقوال النحاس دون مناقشة أو نقد، بل إنه -في بعض الأحيان- حين تتعدد الآراء يجعل رأي النحاس آخرها ليختم به تلك الآراء، وليدعم به رأيه في بعض المسائل. وقد يكتفي بقول النحاس فقط في توجيه بعض الآيات الكريمة، أو بيان معانيها، أو بيان ما فيها من قراءات ولغات، دون أن يذكر رأيه في ذلك؛ مما ينبئ عن ثقته بالنحاس وموافقته إياه في كثير من الأقوال والآراء، والاعتماد عليه في تفسير آيات الذكر الحكيم، وبيان معانيه.

* * *

(١) الكشاف، ١/٢٠٦.

(٢) لسان العرب، (ص ق ع) ٨/٢٠١.

المبحث الثالث: أثر أبي جعفر النحاس على أبي حيان في "البحر المحيط":

يعد كتاب "البحر المحيط" في التفسير لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ[١]، مرجعاً مهماً عند أهل العلم لمن أراد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم "إذ إن الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز... وإن أبا حيان وإن غلبت عليه الصناعة النحوية في تفسيره إلا أنه مع ذلك لم يهمل ما عداها من النواحي التي لها اتصال بالتفسير، فنراه يتكلم على المعاني اللغوية للمفردات، ويذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات الواردة مع توجيهها، كما أنه لا يغفل الناحية البلاغية في القرآن، ولا يهمل الأحكام الفقهية عندما يمر بآيات الأحكام"[٢]. ويعد من أهم مصادره في التفسير كتابا "المحرر الوجيز" لابن عطية، و"الكشاف" للزمخشري. وقد نوه في مقدمة تفسيره بابن عطية والزمخشري باعتبارهما علمين من أعلام التفسير، وإمامين من أئمته، ووصفهما بأنهما أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير، فقال: "وهذا أبو القاسم محمود ابن عمر المشرقي الخوارزمي الزمخشري، وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير... إذ هذان الرجلان هما فارسا علم التفسير، وممارسا تحريره والتحبير، نشراه نشراً، وطار لهما به ذكراً"[٣]. ولم

(١) انظر ترجمته في: بغية الوعاة، ١/٢٨٠ وما بعدها؛ وطبقات المفسرين للداوودي، ٢/٢٨٧ وما بعدها؛ وشذرات الذهب، ٦/٣٢٤ وما بعدها؛ والأعلام، ٧/١٥٢؛ ومعجم المؤلفين، ١٢/١٣٠ وما بعدها.

(٢) التفسير والمفسرون، ١/٢٢٦.

(٣) البحر المحيط، ١/١١٢- ١١٣.

يشر أبو حيان في مقدمته إلى أبي جعفر النحاس، أو إلى بعض مؤلفاته، وبخاصة كتابي "معاني القرآن الكريم"، و"إعراب القرآن" اللذين اعتمد عليهما في بيان معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم، وما ورد فيهما من آراء ومذاهب نحوية، وما تضمناه من قراءات قرآنية، وغير ذلك مما ورد في ثنايا تفسير "البحر المحيط" من أقوال وآراء منقولة عن أبي جعفر النحاس. وفيما يلي عرض لبعض المسائل التي ظهر فيها أثر أبي جعفر النحاس على أبي حيان:

١- **مجال المعاني:**

• في بيان معنى كلمة "المُسَوَّمة" في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ...﴾ [(١)]، قال أبو حيان: "الخَيْلِ المُسَوَّمَةِ: أي الراعية في المروج، سامت: سرحت، وأخذت سومها من الرعي، أي غاية جهدها ولم تقصر على حال دون حال... ورُوي عن مجاهد أنها المطهَّمة الحسان. وقال السدي: هي الرائقة من سيما الحسن. وقال عكرمة: سومها الحسن، واختاره النحاس، من قولهم: رجل وسيم، ولا يكون ذلك لاختلاف المادتين إلا أن ادعى القلب"[(٢)].

ورد في معنى "المُسَوَّمَةِ" في الآية الكريمة ثلاثة أقوال:

الأول: أنها الراعية، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد في رواية، وغيرهم[(٣)]، واختاره ابن قتيبة، فقال: "يقال: سامت الخيل، فهي

(١) سورة آل عمران: ١٤.

(٢) البحر المحيط، ٤١٥/٢؛ وانظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣٦٧/١.

(٣) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣٦٧/١؛ والمحرر الوجيز، ٣٥/٣، وزاد المسير، ٣٠٨/١؛ والبحر المحيط، ٤١٥/١.

سائمة: إذا رعت، وأسَمْتها فهي مُسَامة، وسَوَّمتها فهي مُسَوَّمة: إذا رَعَيْتها"[1]. وهو القول الراجح عند أبي حيان كما جاء في النص السابق.

الثاني: أنها المُعَلَّمة، وهو قول ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة[2]، واختاره الكسائي، وأبو عبيدة[3]، والزجاج، فقال: "ومعنى (الخَيْلِ المُسَوَّمةِ) في اللغة: الخيل عليها السِّيماءُ والسُّومَة، وهي العلامة"[4]. وذكر أبو زيد أن أصل ذلك أن يجعل على الفرس صوفة أو علامة مميزة لتبرز الفرس عن غيرها في المرعى[5].

الثالث: أنها الحسان، قاله مجاهد، وعكرمة[6]، واختاره أبو جعفر النحاس، فقال: "قول مجاهد حسن، من قولهم: رجلٌ وسيمٌ"[7].

ولا يرى ذلك أبو حيان لاختلاف المادتين، فـ"المُسَوَّمة" من مادة "س و م"، يقول ابن فارس: "السين والواو والميم: أصل يدل على طلب الشيء... ومن الباب سامت الرَّعية تسوم، وأسَمْتها أنا. قال الله تعالى: ﴿ فيه تُسِيمون ﴾، أي ترعون"[8]. أما "الوسيم": فمادته "و س م"، قال ابن فارس: "الواو والسين

(١) تفسير غريب القرآن، ١٠٢.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ٣٥/٣؛ وزاد المسير، ٣٠٨/١.

(٣) انظر: مجاز القرآن، ٨٩/١؛ ومعاني القرآن الكريم للنحاس، ٣٦٧/١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٣٨٣/١- ٣٨٤.

(٥) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣٦٧/١.

(٦) انظر: تفسير غريب القرآن، ١٠٢؛ ومعاني النحاس، ٣٦٧/١؛ والمحرر الوجيز، ٣٥/٣؛ وزاد المسير، ٣٠٨/١.

(٧) معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣٦٧/١.

(٨) مقاييس اللغة، (س و م) ١١٨/٣.

والميم: أصل واحد يدل على أثر ومَعْلم... والوسامة: الجمال"[1]. ولم يذكر أحد من علماء اللغة أن بين المادتين قلباً، ولم يدع النحاس ذلك.

وقد جمع أبو جعفر النحاس -رحمه الله- بين أقوال السلف، فذكر أنه لا تعارض بينها، فالخيل المُسَوَّمة يمكن أن تكون حساناً راعية، معلَّمة بعلامة تميزها عن غيرها[2]، وهو قول حسن.

• وفي بيان معنى كلمة "مُقِيت" في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾[3]، قال أبو حيان: "المُقيت: المقتدر... وقال أبو عبيدة: المقُيت: الحاضر، وقال ابن فارس: المُقِيت: المقتدر، و المقُيت: الحافظ والشاهد، وقال النحاس: هو مشتق من القوت، والقوت مقدار ما يحفظ به الإنسان من التلف"[4].

ورد في معنى "المُقِيت" عدة أقوال، أشهرها قولان:

١- المُقْتدر، وهو قول السدي، وابن زيد، والكسائي[5]، وبه قال الفراء[6]، وابن قتيبة[7].

٢- الحافظ، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة[8]، وبه قال أبو عبيدة[9]، والزجاج[10]. وقد رجح النحاس قول أبي عبيدة: إن

---

(١) المرجع السابق، (و س م) ٦/١١٠.

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ١/٣٦٧.

(٣) سورة النساء: ٨٥.

(٤) البحر المحيط، ٣/٣١٦؛ وانظر: إعراب القرآن للنحاس، ١/٤٧٧.

(٥) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٢/١٤٧؛ وزاد المسير، ٢/١٦٤؛ والبحر المحيط، ٣/٣٢٢.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء، ١/٢٨٠.

(٧) انظر: تفسير غريب القرآن، ١٣٢.

(٨) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٢/١٤٦- ١٤٧؛ والمحرر الوجيز، ٤/١٩٤؛ وزاد المسير، ٢/١٦٤.

(٩) انظر: مجاز القرآن، ١/١٣٥.

(١٠) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٢/٨٥.

" المقُيت" الحافظ على قول الكسائي: إنه المقتدر، فقال: "وقول أبي عبيدة أولى؛ لأنه مشتق من القوت، والقوت معناه مقدار ما يحفظ الإنسان"[1].

ويبدو -والله أعلم- أن كلا المعنيين مقصود في الآية الكريمة، وهو ما ذهب إليه ابن فارس حين قال في مادة "ق و ت": "القاف والواو والتاء أصلٌ صحيحٌ يدل على إمساك وحفظ وقدرة على الشيء. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وكانَ اللَّهُ على كلِّ شيء مقيتاً ﴾، أي حافظاً له، شاهداً عليه، وقادراً على ما أراد"[2].

• وفي بيان معنى "تُبْسَل" في قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ .. ﴾[3]، ذكر أبو حيان عدة أقوال في معنى هذه الكلمة، فقال: "قال ابن عباس: تُفْضَح. وقال الحسن وعكرمة: تُسْلَم. وقال قتادة: تُحْبَس وتُرْتَهن. وقال الكلبي، وابن زيد، والأخفش: تُجْزى. وقال الضحاك: تُحْرَق. وقال ابن زيد أيضاً: تُؤْخذ. وقال مورج: تُعذّب. وقيل: يحرم عليها النجاة ودخول الجنة"[4]. ثم أورد قول أبي جعفر النحاس دون أن ينسبه إليه، فقال: "وقال أبو بكر: استحسن بعض شيوخنا قول من قال: تُسْلم بعملها لا تقدر على التخلص؛ لأنه يقال: استبسل للموت، أي رأى ما لا يقدر على دفعه"[5]. هذا القول الذي حكاه أبو حيان عن أبي بكر هو قول أبي جعفر النحاس في معانيه، حيث استحسن أبو جعفر

(١) إعراب القرآن للنحاس، ١/٤٧٧.
(٢) مقاييس اللغة، (ق و ت) ٥/٣٨.
(٣) سورة الأنعام: ٧٠.
(٤) البحر المحيط، ٤/١٦٠.
(٥) المرجع السابق، ٤/١٦٠.

قول مجاهد حين فسر كلمة "تُبْسَل" بـ"تُسْلَم"، فقال: "وقول مجاهد حسنٌ، أي تُسْلَم بعملها، لا تقدر على التخلص"[1]. وهذا هو القول الأظهر والأشهر في تفسير هذه الآية، وقد قال به من المفسرين بالإضافة إلى مجاهد ابن عباس فيما رواه عنه عكرمة، والحسن، والسدي[2]. وقال به من اللغويين أبو عبيدة[3]، وابن قتيبة[4]، والزجاج[5]. وقال أبو منصور الأزهري: " ﴿ أن تُبْسَل نَفْسٌ بِما كَسَبَتْ... ﴾: أي تُسْلَم للهلاك... وقال الشنفري:

هُنالِكَ لا أَرْجُو حياةً تَسرُّني		سَمِيرَ اللَّيالي مُبْسَلاً لجرائري

أي مُسْلَماً"[6].

٢- مجال القراءات:

• في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ... ﴾[7]، قال أبو حيان: "وقال مجاهد: بَئِيس: شديد موجع. وقال الأخفش: مهلك. وقرأ أهل المدينة نافع، وأبو جعفر، وشيبة: (بِيْسٍ) على وزن جيد، وابن عامر كذلك، إلا أنه همز كبئر، ووجهتا على أنه فعل سمي به كما جاء: (أنهاكم عن قيل وقال). ويحتمل أن يكون وضع وصفاً على وزن فعل كحلف، فلا يكون

(١) معاني القرآن الكريم للنحاس، ٢/٤٤٤.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ٦/٧٥؛ وزاد المسير، ٣/٤٥.

(٣) انظر: مجاز القرآن، ١/١٩٤.

(٤) انظر: تفسير غريب القرآن، ١٥٥.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٢/٢٦١- ٢٦٢.

(٦) تهذيب اللغة، (ب س ل) ١٢/٤٣٩.

(٧) سورة الأعراف: ١٦٥.

أصله فعلاً. وخرَّجه الكسائي على وجه آخر، وهو أن الأصل (بَئِيس) فخفف الهمزة، فالتقت ياءان، فحذفت إحداهما، وكسر أوله كما يقال: (رغيف، وشهيد). وخرَّجه غيره على أن يكون على وزن (فَعِل) فكسر أوله إتباعاً ثم حذفت الكسرة، كما قالوا (فَخِذ)، ثم خففوا الهمزة. وقرأ الحسن (بِئْسَ) عن نافع وأبي بكر مثله إلا أنه بغير همز عن نافع، كما تقول: (بِيْس الرجلُ). وضعَّفها أبو حاتم، وقال: لا وجه لها؛ قال: لأنه لا يقال: (مررتُ برجلٍ بِيْسَ حتى يقال: بِيْسَ رجلاً). قال النحاس: هذا مردود من كلام أبي حاتم. حكى النحويون: (إن فعلت كذا وكذا فبها ونِعْمَتِ الخصلة). والتقدير: (بِيْسَ العذابُ")[1].

هذه الأقوال في معنى "بَئِيس" وما فيها من قراءات معظمها منقول عن أبي جعفر النحاس[2]، فقد ذكر في "بئيس" إحدى عشرة قراءة، منها ما يلي:

١- "بَئِيسٍ" على وزن "فَعِيل" بفتح الباء وكسر الهمزة، وهي قراءة سبعية، قرأ بها ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي[3]. ومعناه: شديد أليم، كما قال مجاهد في رواية أبي جعفر النحاس[4]، وفي رواية أبي حيان في النص السابق: "شديد موجع". وبهذا المعنى قال أبو عبيدة، وأنشد لذي الإصبع العدواني:

حَنَقاً عليَّ وما تَرَى لي فيهم أَثَراً بَئِيساً

أي شديداً[5].

---

(١) البحر المحيط، ٤/٤١٠.

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣/٩٥؛ وإعراب القرآن للنحاس، ٢/١٥٨- ١٥٩.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢/١٥٨؛ والسبعة في القراءات، ٢٩٦؛ وزاد المسير، ٣/١٨٨؛ والنشر، ٢/٢٧٣.

(٤) انظر: معاني القرآن الكريم، ٣/٩٥.

(٥) انظر: مجاز القرآن، ١/٢٣١.

وبه قال أيضاً ابن قتيبة[١]، وأبو إسحاق الزجاج[٢]، وأبو منصور الأزهري، حيث قال في معنى هذه القراءة: "بَئِيس على فَعِيل، ومعناه: الشديد، يقال: بَؤُسَ يَبْؤُسُ فهو بَئيسٌ، إذا اشْتدَّ وشجع، وبئِسَ، يَبْأَس، إذا افْتَقَرَ، فهو يَئِيسٌ وبيس أيضاً"[٣].

وقال الأخفش: معناه: مهلك كما في رواية أبي حيان في النص السابق، ولم أجده في معانيه.

٢- "بِيْسٍ" بكسر الباء من غير همز، وبعدها ياء ساكنة، والسين مكسورة منونة، وهي قراءة سبعية، قرأ بها نافع[٤]. وذكر أبو جعفر النحاس أن في هذه القراءة ثلاثة أقوال:

أولها: قول الكسائي أن الأصل في "بِيْس": "بَئِيس"، ثم خففت الهمزة، فاجتمعت ياءان، فحذفت إحداهما، ونقلت حركتها إلى الباء، فصارت "بِيْس"[٥].

وثانيها: قول محمد بن يزيد المبرد أن الأصل في "بِيْس": "بَئِسٍ"، ثم كسرت الباء لكسرة الهمزة، فصارت "بِئِس"، وخُفِّفت الهمزة، وحذفت كسرتها، فصارت "بِيْس"[٦].

وثالثها: قول علي بن سليمان (الأخفش الصغير) أن معنى "بِيْس": رَدِيء، والعرب تقول: "جاء ببناتٍ بِيْسٍ، أي بشيءٍ رديء"[٧].

---

(١) انظر: تفسير غريب القرآن، ١٧٤.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٣٨٦/٢.

(٣) معاني القراءات، ١٩٢.

(٤) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٩٥/٣؛ وإعراب القرآن للنحاس، ١٥٨/٢؛ والسبعة في القراءات، ٢٩٦؛ وزاد المسير، ١٨٨/٣.

(٥) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٩٥/٣؛ وإعراب القرآن للنحاس، ١٥٩/٢.

(٦) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٩٥/٣؛ وإعراب القرآن للنحاس، ١٥٩/٢.

(٧) إعراب القرآن للنحاس، ١٥٩/٢.

فمعنى "بعذابٍ بِيْسٍ": بعذاب رديء. قال أبو جعفر عن هذا القول: "وليس بجار على الفعل، إنما هو كما يقال: ناقةٌ نضوٌ"[1].

٣- "بَيْسٍ" على وزن "فَعْل" بفتح الباء، وسكون الياء بغير همز، وهي قراءة سبعية، قرأ بها نافع برواية خارجة[2]. وأصل "بَيْس" من "بَئِس"، قال ابن جني: "خففت الهمزة فصارت بين بين، أي بين الهمزة والياء، فلما قاربت الياء ثقلت فيها الكسرة فأسكنها طلباً للاستخفاف، فصارت في اللفظ ياءً"[3].

٤- "بِئْسٍ" على وزن "فِعْل" بكسر الباء، وإسكان الهمزة، وهي مثل قراءة الإمام نافع: "بِيْسٍ"، إلا أنها مهموزة، وقد قرأ بها ابن عامر كما ذكر أبو حيان في النص السابق، وهي من القراءات السبع[4].

٥- "بَيْأَسٍ" على وزن "فَيْعَل" بفتح الباء، وسكون الياء، وهمزة مفتوحة، وقد قرأ بها عاصم برواية أبي بكر[5]. و"بَيْأَس" من بَئِسَ يَبْأَسُ، كما يقال: عَيْطَلَ، من عَطِلَ يَعْطَل[6].

٦- "بَيْئِس" على وزن "فَيْعِل"، قراءة شاذة، قرأ بها الأعمش، وعاصم بخلاف[7]. وهذا البناء خاص بالمعتل، أما الصحيح فلا يجئ منه، يقول ابن جني:

---

(١) معاني القرآن الكريم للنحاس، ٣/٩٥- ٩٦.

(٢) انظر: السبعة في القراءات، ٢٩٦؛ وزاد المسير، ٣/١٨٨.

(٣) المحتسب، ١/٢٦٦.

(٤) انظر: السبعة في القراءات، ٢٩٦؛ وزاد المسير، ٣/١٨٨.

(٥) انظر: السبعة في القراءات، ٢٩٦؛ وزاد المسير، ٣/١٨٨.

(٦) انظر: معاني القراءات، ١٩٢.

(٧) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢/١٥٩؛ والقراءات الشاذة، ٤٧؛ والمحتسب، ١/٢٦٥؛ والبحر المحيط، ٤/٤١١.

"وأما (بَيْئِس) على فَيْعِل ففيه نظر؛ وذلك أن هذا البناء مما يختص به ما كان معتل العين كسيِّد، وهيِّن، وديِّن، وليِّن، ولم يجيء في الصحيح، وكأنه إنما جاء في الهمزة لمشابهتها حرفي العلة، والشبه بينها وبينهما من وجوه كثيرة"[1]. وقصر ابن الأنباري مجيئه من المعتل عند البصريين، أما الكوفيون فلا يبنونه في صحيح ولا معتل[2].

٧- "بِئْسَ" بكسر الباء، وسكون الهمزة، وفتح السين، وهي قراءة شاذة، قرأ بها الحسن[3]. وأنكرها أبو حاتم؛ "لأنه لا يقال: مررت برجلٍ بِئْسَ حتى يقال: بِئْسَ الرجلُ، وبِئْسَ رجلاً"[4]. ورد عليه أبو جعفر النحاس بأنه يقال: إن فَعَلْتَ كذا وكذا فبها ونِعْمَتْ، أي ونِعْمَتِ الخصلة. ومن ثم فإن تقدير قراءة الحسن: بعذاب بِئْسَ العذابُ، وبعذاب بَئِسٍ على فَعِلٍ، مثل: حَذِرٍ[5].

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ...﴾[6]، قال أبو حيان: "قرأ يحيى بن وثاب، والأعمش، وحمزة (بِمُصْرِخِيِّ) بكسر الياء، وطعن كثير من النحاة في هذه القراءة، قال الفراء: لعلها من وهم القراء، فإنه قلَّ من سلم منهم من الوهم، ولعلّه ظن أن الباء في (بمصرخيّ) خافضة للفظ كله، والياء للمتكلم خارجة من ذلك، وقال أبو عبيد: نراهم غلطوا، ظنوا أن الباء تكسر لما بعدها. وقال الأخفش: ما سمعت هذا من أحد من العرب

(١) المحتسب، ١/٢٦٥.

(٢) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن، ١/٣٧٧.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢/١٥٨؛ والمحتسب، ١/٢٦٧.

(٤) إعراب القرآن للنحاس، ٢/١٥٩.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٢/١٥٩.

(٦) سورة إبراهيم: ٢٢.

ولا من النحويين. وقال الزجاج: هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة، ولا وجه لها إلا وجه ضعيف. وقال النحاس: صار هذا إجماعاً، ولا يجوز أن يحمل كتاب الله على الشذوذ"[1].

اختلف النحويون في قبول هذه القراءة "بِمصْرِخِيَّ" بكسر الياء، فكانوا على قسمين:

القسم الأول: يرى أنها قراءة رديئة، ولا وجه لها إلا وجه ضعيف ذكره الفراء، ومن هؤلاء الأخفش (سعيد بن مسعدة)، والفراء، والزجاج، والنحاس، وغيرهم[2]. وحجتهم أن ياء المتكلم تحرك دائماً بالفتح، ويجوز تسكينها إذا كان ما قبلها مكسوراً لثقل الياء التي قبلها كسرة، أما إذا كان ما قبلها ساكناً فتحرك بالفتح لا غير على الأصل، وتكون حركتها لازمة لالتقاء الساكنين[3].

وذكر الفراء أن لهذه القراءة وجهاً ضعيفاً؛ لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، وأنشد قول الأغلب العجلي:

قَال لَها: هل لَكِ يا تافِيَّ		قَالَتْ لَهُ: مَا أَنْتَ بالمَرْضِيِّ

أي: "ياتافِيَّ" فكسر الياء فيها، والمعنى: يا هذه[4].

ورد عليه الزجاج، فقال: "وهذا الشعر لا يلتفت إليه، وعمل مثل هذا سهل، وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يحتج به في كتاب الله عز وجل"[5].

---

(١) البحر المحيط، ٤٠٨/٥؛ وانظر: إعراب القرآن للنحاس، ٣٦٨/٢.

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش، ٤٠٧/٢؛ ومعاني القرآن للفراء، ٧٥/٢؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٥٩/٣، وإعراب القرآن للنحاس، ٣٦٨/٢- ٣٦٩.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٥٩/٣.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء، ٧٦/٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٦٠/٣.

ويلحظ أن الزجاج وصف هذا البيت بأنه مجهول القائل ؛ لأن الفراء لم ينسبه لأحد، وقد نسبه غيره إلى الأغلب العجلي[1].

ومن الذين ضعَّفوا هذه القراءة الزمخشري، فذكر أن تحريك الساكن بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ليس مطرداً دائماً، وهو لا ينطبق على ياء الإضافة (ياء المتكلم) ؛ لأنها لا تكون إلا مفتوحة، فقال: "فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح ؛ لأجل الإدغام، فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن، فحركت بالكسر على الأصل. قلت هذا قياس حسن، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات"[2].

وذكر أبو منصور الأزهري أن إسحاق بن منصور روى عن حمزة أنه قرأ "مُصْرِخِيَّ" بفتح الياء على القراءة المشهورة، فكأنه رأى أن الكسر لحن فرجع عنه[3].

القسم الثاني: يرى أن هذه القراءة صحيحة جاءت على لغة بعض العرب، وإن قَلَّ استعمالها، وهي لغة بني يربوع كما روى قطرب[4]. وذكر أبو حيان أن القاسم بن معن، وهو من أئمة الكوفيين يرى صواب هذه القراءة، كما ذكر أن حسين الجعفي سأل أبا عمرو بن العلاء عن هذه القراءة، فقال: هي جائزة، قال أبو حيان: "ولا التفات إلى إنكار أبي حاتم على أبي عمرو تحسينها ؛ فأبو عمرو

(١) انظر: خزانة الأدب، ٢/٢٥٧ ؛ ومعاني القراءات، ٢٣٥.

(٢) الكشاف، ٣/٣٧٦.

(٣) انظر: معاني القراءات، ٢٣٥.

(٤) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن، ٢/٥٧ ؛ والبحر المحيط، ٥/٤٠٩.

إمام لغة، وإمام نحو، وإمام قراءة، وعربي صريح، وقد أجازها وحسنها"[1]. يتبين من ذلك أن أبا حيان يرى صواب هذه القراءة مخالفاً بذلك رأي الفريق الأول.

ومن الذين يرون جوازها أيضاً أبو البركات بن الأنباري، ويرى أن العدول إلى الكسر في هذه القراءة ليكون مطابقاً لكسرة همزة "إن" في الكلمة التي بعدها، وهي قوله: ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾[2]، فقال: "لأنه أراد الوصلَ دون الوقف، فلما أراد هذا المعنى، كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها، وإنما عابَ من عابَ هذه القراءة؛ لأنه توهم كسرة الياء بالباء، على أن كسرة ياء المتكلم لغة لبعض العرب حكاه أبو علي قطرب"[3].

والصواب من القول أن هذه القراءة صحيحة؛ لأنها من القراءات السبع المتواترة[4]، وهي لغة بني يربوع كما حكى قطرب، وأجازها إمام اللغة، والنحو، والقراء، أبو عمرو بن العلاء، وقال عنها ابن الجزري: "ولا عبرة بقول الزمخشري وغيره ممن ضعفها أو لحنها، فإنها قراءة صحيحة اجتمعت فيها الأركان الثلاثة[5]، وقرأ بها أيضاً يحيى بن وثاب وسليمان بن مهران الأعمش، وحمران بن أعين، وجماعة من التابعين، وقياسها في النحو صحيح... وهذه اللغة باقية شائعة ذائعة في

(١) البحر المحيط، ٤٠٩/٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٢.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن، ٥٧/٢.

(٤) انظر: السبعة في القراءات، ٣٦٢؛ والنشر، ٢٩٨/٢؛ وإتحاف فضلاء البشر، ١٦٧/٢- ١٦٨.

(٥) المقصود بالأركان الثلاثة كما ذكر ابن الجزري في النشر، ٩/١ ما يلي:

أ- موافقة العربية ولو بوجه.

ب- موافقة أحد المصاحف العثمانية.

ج- صحة سند القراءة، واتصال روايتها.

أفواه أكثر الناس إلى اليوم، يقولون: ما فيٍّ أفعل كذا، ويطلقونها في كل ياءات الإضافة المدغم فيها، فيقولون: ما عليٍّ منك، ولا أمرك إليٍّ، وبعضهم يبالغ في كسرتها حتى تصير ياءً"[1].

يتبين في نهاية هذا المبحث أثر أبي جعفر النحاس على أبي حيان في بيان معاني آيات الذكر الحكيم، وما ورد فيها من قراءات وآراء، ومذاهب نحوية، إلا أن هذا الأثر يعد محدوداً إذا ما قورن بأثره في القرطبي الذي لا تكاد تمر مسألة من مسائل الكتاب إلا وللنحاس فيها رأي أو قول. كما أن أبا حيان يختلف عن القرطبي في عرض آراء النحاس، فالقرطبي -كما مرّ بنا في المبحث السابق- يعرض آراء النحاس وأقواله كما وردت في كتبه دون أن يناقشها أو يستدرك عليها، في حين أن أبا حيان قد يورد رأي النحاس ليرد عليه، كما في بيان معنى "المُسَوَّمة" في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ...﴾ [2]. حين قال النحاس: إن "المُسَوَّمة": الحِسان، من قولهم: "رجلٌ وسيمٌ"[3]. فرد عليه أبو حيان بعدم جواز ذلك لاختلاف المادتين[4]. ومثل ذلك ما جاء في قراءة "بِمُصْرِخِيِّ" في الآية السابقة حيث رفض أبو جعفر النحاس هذه القراءة، وأجازها أبو حيان مخالفاً بذلك رأي جمهور النحويين. كما أن أبا حيان قد يورد رأي النحاس أو قوله دون أن ينسبه إليه، كما في بيان معنى "تُبْسَل" في قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا

(١) النشر، ٢/٢٩٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٤.

(٣) معاني القرآن الكريم للنحاس، ١/٣٦٧.

(٤) انظر: البحر المحيط، ٢/٤١٥.

كَسَبَتْ ...﴾ [1]. حيث اكتفى بعبارة: "استحسنَ بعض شيوخنا قول من قال: (تُبْسَل): تُسْلَم بعملها لا تقدر على التخلص..."[2]. وهذا قول النحاس إلا أنه لم ينسبه إليه[3].

* * *

(١) سورة الأنعام: ٧٠.

(٢) البحر المحيط، ٤/١٦٠.

(٣) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس، ٢/٤٤٤.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذه الدراسة توصلت إلى النتائج التالية:

١- بينت الدراسة أثر أبي جعفر النحاس، وبخاصة في كتابيه "معاني القرآن الكريم"، و"إعراب القرآن" في ثلاثة من أئمة المفسرين، وهم: ابن عطية في "المحرر الوجيز"، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"، وأبو حيان في "البحر المحيط"، مع التفاوت في مقدار هذا التأثر بين المفسرين الثلاثة.

٢- تبين من خلال المبحث الأول في هذه الدراسة أن أثر أبي جعفر النحاس على ابن عطية في "المحرر الوجيز" يعد محدوداً إذا ما قيس بأثره على القرطبي. وتمثل هذا الأثر في بيان معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم، وإيراد بعض القراءات القرآنية، وما ورد فيها من تعليلات وآراء.

٣- بينت الدراسة أن آراء أبي جعفر النحاس وأقواله لم تكن محل قبول وتسليم عند ابن عطية، بل كان يستدرك عليه، ويرد بعض أقواله، ويقدم عليه أبا إسحاق الزجاج، وأبا علي الفارسي.

٤- تبين من خلال المبحث الثاني في هذه الدراسة أثر أبي جعفر النحاس الواضح في تفسير الإمام القرطبي، وقد ظهر هذا الأثر في كثرة استشهاد القرطبي بأقوال النحاس وآرائه في مجال معاني ألفاظ القرآن الكريم، ومجال القراءات القرآنية، وما فيها من علل وآراء، وبعض مسائل النحو والتصريف، وفي مجال اللغات أو اللهجات العربية.

٥- بينت الدراسة ثقة القرطبي بأبي جعفر النحاس، فكان يورد أقواله دون مناقشة أو نقد، بل إنه -أحياناً- يورد آراء بعض المفسرين واللغويين، ثم يجعل رأي النحاس آخرها ليختم به تلك الآراء، وليدعم به رأيه في

بعض المسائل. وقد يكتفي بإيراد قول النحاس وحده في توجيه بعض الآيات الكريمة، أو بيان معانيها، أو بيان ما فيها من قراءات ولغات، دون أن يذكر رأيه في ذلك.

٦- تبين من الدراسة أن القرطبي كان يعتمد على أبي جعفر النحاس، وبخاصة في كتابه "إعراب القرآن" في توثيق بعض القراءات القرآنية بلغات بعض القبائل العربية، كتميم، وقيس، وأسد، وربيعة، وكان يستند على هذه اللغات في تعليل القراءات وتوجيهها، ورد بعض الأقوال والآراء.

٧- تبين من الدراسة أن القرطبي كان أميناً فيما ينقل عن أبي جعفر النحاس، فأشار إلى كثير من الاقتباسات التي نقلها عنه، وإن ورد بعضها بدون نسبة، ولكنه قليل إذا قيس بما هو منسوب، وبضخامة المادة المقتبسة.

٨- تبين من خلال المبحث الثالث أثر أبي جعفر النحاس على أبي حيان في كتابه "البحر المحيط". وقد ظهر هذا الأثر في بيان معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم، ونقل بعض أقوال السلف التي أوردها النحاس في هذه المعاني، وإيراد بعض القراءات القرآنية التي ذكرها النحاس، وبخاصة في كتابه "إعراب القرآن"، وبيان ما ورد فيها من آراء وتعليلات، ومذاهب نحوية.

٩- تبين من الدراسة أن أبا حيان يختلف عن القرطبي في عرض آراء أبي جعفر النحاس وأقواله، فالقرطبي -كما ذكرت آنفاً- غالباً ما يورد أقوال النحاس دون مناقشة أو تعقيب، أما أبو حيان فقد يورد رأي النحاس ليرد عليه ويفنده، وقد يذكر له رأياً أو قولاً دون أن ينسبه إليه.

هذه أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة. وأسأل الله -عزوجل- العفو عما قصرت فيه أو سهوت عنه، كما أسأله أن يكتب لي الأجر والمثوبة على ما قدمت، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ،،

* * *

فهرس المصادر والمراجع:

١- **أبو جعفر النحاس**. أحمد خطاب العمر. ط١. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م.

٢- **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**. أحمد بن محمد البنا. ط١. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣- **أساس البلاغة**. محمود بن عمر الزمخشري. ط١. بيروت: دار صادر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٤- **إعراب القرآن**. لأبي جعفر النحاس. ط٣. تحقيق: زهير غازي زاهد. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٥- **"إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس المتوفى عام ٣٣٨هـ"**. أحمد مختار عمر. مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي. مكة المكرمة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الأول، (١٣٩٨هـ).

٦- **الإعلام**. خير الدين الزركلي. ط١٢. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٧م.

٧- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**. علي بن يوسف القفطي. ط١. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨- **الإنصاف في مسائل الخلاف**. أبو البركات كمال الدين بن الأنباري. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر، د.ت.

٩- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**. عبد الله جمال الدين بن هشام. ط٥. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٠- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. تحقيق: محمد علي النجار، وعبد العليم الطحاوي. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

١١- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. ط٢. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٢- **البيان في غريب إعراب القرآن**. أبو البركات بن الأنباري. تحقيق: طه عبد الحميد طه. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٣- **تأويل مشكل القرآن**. عبد الله بن مسلم بن قتيبة. ط٢. تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار التراث، ١٩٩٣م/١٩٧٣م.

١٤- **تفسير البحر المحيط**. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. ط١. تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٥- **تفسير غريب القرآن**. عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق: السيد أحمد صقر. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٦- **تفسير القرآن العظيم**. أبو الفداء إسماعيل بن كثير تحقيق: عبد العزيز غنيم وآخرين. القاهرة: دار الشعب.د. ت.

١٧- **التفسير والمفسرون**. محمد حسين الذهبي. ط٨. القاهرة: مكتبة وهبة. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٨- **تهذيب اللغة**. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق: عبد السلام محمد هارون وآخرين. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١٩- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. محمد بن جرير الطبري. ط٢. تحقيق: محمود محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م.

٢٠- **الجامع لأحكام القرآن**. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. ط١. تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي. القاهرة: دار الحديث، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢١- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**. عبد القادر بن عمر البغدادي. ط١. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٦هـ.

٢٢- **الخصائص**. أبو الفتح عثمان بن جني. ط٢. تحقيق: محمد علي النجار. بيروت: دار الهدى، د.ت.

٢٣- **الدراسات اللغوية والنحوية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري**. أحمد نصيف الجنابي. بغداد: مكتبة دار التراث. ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢٤- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. ط١. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٥- **ديوان تميم بن أبي بن مقبل**. ط١. شرح: مجيد طراد. بيروت: دار الجيل، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٢٦- **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**. بيروت: دار صادر، د.ت.

٢٧- **ديوان النابغة الذبياني**. ط٣. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٠م.

٢٨- **زاد المسير في علم التفسير**. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. ط١: تحقيق: محمد عبد الرحمن عبد الله. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٩- **السبعة في القراءات**. ابن مجاهد. تحقيق: شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣٠- **سر صناعة الإعراب**. أبو الفتح عثمان بن جني. ط١. تحقيق: حسن هنداوي. دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣١- **شذرات الذهب ف أخبار من ذهب**. ابن العماد الحنبلي. ط١. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٢- **شرح القصائد التسع المشهورات**. أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس. تحقيق: أحمد خطاب العمر. بغداد، ١٩٧٣م.

٣٣- **الصحاح**. إسماعيل بن حماد الجوهري. ط٤. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.

٣٤- **طبقات المفسرين**. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. ط١. تحقيق: علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٣٥- **طبقات المفسرين**. شمس الدين محمد بن علي الداوودي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

٣٦- **طبقات النحويين واللغويين**. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي. ط٢. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م.

٣٧- **العين**. الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م.

٣٨- **القراءات الشاذة**. ابن خالويه. تقديم: آثر جفري. إربد- الأردن: دار الكندي، ٢٠٠٢م.

٣٩- **قصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل**. محمد الأمين المحبي. ط١. تحقيق وشرح: عثمان محمود الصيني. الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤٠- **الكتاب**. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. ط٣. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤١- **الكشاف**. محمود بن عمر الزمخشري. ط١. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٤٢- **لسان العرب**. جمال محمد بن مكرم بن منظور. بيروت: دار صادر، د.ت.

٤٣- **مجاز القرآن**. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي. ط٢. تحقيق: محمد فؤاد سزكين. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٤- **المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**. أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي. القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٤٥- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ابن عطية الأندلسي. تحقيق: المجلس العلمي بفاس، ومكناس، وتارودانت. المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٤٦- **المخصص**. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

٤٧- **المسند**. أحمد بن حنبل. ط١. شرحه وصنع فهارسه: أحمد محمد شاكر، وحمزة أحمد الزين. القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٨- **معاني القرآن**. الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة. ط١. تحقيق: هدى محمود قراعة. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٤٩- **معاني القرآن الكريم**. أبو جعفر النحاس. ط١. تحقيق: محمد علي الصابوني. مكة المكرمة: مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٥٠- **معاني القرآن الكريم وإعرابه لأبي جعفر النحاس – دراسة معجمية**. محمد بن نافع العنزي (رسالة دكتوراه لم تنشر). مكة المكرمة: كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٥١- **معاني القرآن الكريم وإعرابه**. أبو إسحاق الزجاج. ط١. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. القاهرة: دار الحديث، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥٢- **معاني القرآن**. يحيى بن زياد الفراء. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار. بيروت: دار السرور، د.ت.

٥٣- **معاني القراءات**. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري. ط١. تحقيق: أحمد فريد المزيدي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥٤- **معجم الأدباء**. ياقوت الحموي. ط١. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.

٥٥- **المعجم الذهبي**. محمد التونجي. ط٢. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

٥٦- **معجم المؤلفين**. عمر رضا كحالة. بيروت: دار المثنى وإحياء التراث العربي، د.ت.

٥٧- **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**. أبو منصور الجواليقي. تحقيق: ف. عبد الرحيم. دمشق: دار القلم، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٥٨- **معرض الأبريز من الكلام الوجيز**. عبد الكريم محمد الأسعد. ط١. الرياض: دار المعراج الدولية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٥٩- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. عبد الله جمال بن هشام. ط٥. تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.

٦٠- **مفردات ألفاظ القرآن**. الراغب الأصفهاني. ط٢. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٦١- **المفضليات**. المفضل الضبي. ط٧. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م.

٦٢- **مقاييس اللغة**. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الجيل، د.ت.

٦٣- **المقتضب**. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٦هـ.

٦٤- **مقدمة ابن خلدون**. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. بيروت: دار الجيل، د. ت.

٦٥- **النشر في القراءات العشر**. أبو الخير محمد بن الجزري. أشرف على تصحيحه ومراجعته: محمد علي الضباع. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

* * *